مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

حقيقةُ رجوعِ الشيخِ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف

دراسةٌ نقديَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ

الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد

أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث. هذا البحث يدور حول تحقيق في ناحية مهمة من شخصية العلامة الشيخ محمد المكي بن عزوز ١٢٧٠-١٣٣٤هـ؛ حيث كان ذلك الرجل من أكابر علماء عصره، وله الحضور المميز في ميادين العلم، وكان على عقيدة مخالفة لما كان عليه السلف الصالح، كتجويزه الاستغاثة بغير الله، وغُلُوِّه فيمن يعتقد فيهم الولاية، وتعصبه لغير الدليل، وكونه صوفياً على الطريقة الخلوتية الرحمانية.

والناحية التي دار حولها هذا البحث؛ هي حقيقة رجوعه عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف؛ حيث وقع اختلاف في ذلك.

وقد تبين من خلال هذا البحث أن الراجح المقطوع به حقاً هو رجوعه إلى عقيدة السلف؛ لكون الشبه التي تنكر رجوعه واهية لا تصمد أمام الأدلة القاطعة الكثيرة التي تثبت رجوعه.

وأهم تلك الأدلة تصريحه بذلك، وتآليفه المتأخرة، وشهادة علماء عصره، وتصريحهم برجوعه.

وقد تخلل ذلك البحث بيان لأسباب رجوعه، وما ترتب على ذلك الرجوع من الآثار الحميدة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن العقيدة الإسلامية سبيل النجاة، وطريق السعادة في الدنيا والآخرة، وإن عقيدة السلف الصالح لهي العقيدة السليمة الصحيحة الخالية من أي شوب؛ فمن تَتَبَّع طريقتهم بعدل وإنصاف أدرك مطابقتها لما جاء في الكتاب والسنة جملةً وتفصيلاً، وعلم ملاءمتها للفطرة القويمة، ومساوقتها للعقل السليم، والنظر الصحيح.

وتلك العقيدة مأرز الشاردين، وكهف العائدين ممن جهلوا حقيقتها، أو نكصوا عنها، وتنكبوا طريقها من المتكلمين والمبتدعين وعموم الضالين.

ولا زال أهل الحق والإنصاف والعدل يؤثرون الحق على الخلق، ويتبعون الهدى إذا تبين لهم، ولا يتعصبون لما أَلْفَوا عليه آباءهم من غير ما بيِّنة أو أثارة من علم.

وتاريخ الإسلام منذ بواكيره إلى يومنا هذا حافل بأمثال أولئك، والكلام في هذا البحث سيدور حول حقيقة رجوع علم من أعلام العصور المتأخرة إلى عقيدة السلف، ألا وهو العلامة الشهير المتفنن فارس المنقول والمعقول الشيخ محمد المكي بن عزوز الجزائري أصلاً، التونسي مولداً ونشأة.

وقد جاء عنوان هذا البحث حاملاً المسمى التالي: (**حقيقةُ رجوعِ الشيخِ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدةِ السلفِ – دراسةٌ نقديةٌ تحليليةٌ**).

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال العام التالي:

ما حقيقة رجوع الشيخ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف؟

ويتفرع عن هذا **الإشكال العام** الأسئلة التالية:

١- ما عقيدته الأولى، وما الأقوال في شأن رجوعه إلى عقيدة السلف، وما الصحيح منها؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

٢- ما دلائل رجوعه؟ وأسباب ذلك؟ وآثاره إن كان قد رجع حقًّا؟

فهذه -بإجمال- مشكلة البحث.

أسباب البحث: يمكن إجمالها فيما يلي:

١- وقوع الخلاف في رجوع الشيخ ابن عزوز إلى عقيدة السلف.

٢- رغبة الباحث في تجلية حقيقة الرجوع، ودلائلها، وأسبابها، وآثارها حال ثبوتها.

أهداف البحث:

هذا البحث يهدف إلى ما يلي:

١- الوقوف على حقيقة رجوع الشيخ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف.

٢- إيضاح الخلاف في تلك المسألة، ومناقشة الأقوال فيها، وبيان الصحيح منها.

٣- إبراز دلائل رجوعه، وأسباب ذلك، وآثاره إن كان قد رجع حقيقة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- كونه مثارَ جدلٍ في حياة الشيخ ابن عزوز إلى يومنا هذا.

٢- أن الجدل فيه لم يحسم حسماً قاطعاً بأدلة وبراهين واضحة عبر دراسة علمية متخصصة.

٣- كونه يتعلق بشخصية علمية كبيرة لها باعها الطويل في شتى العلوم.

٤- ما لهذه الشخصية من المكانة في الأوساط العلمية في عصرها وبعد عصرها.

٤- ما يترتب على رجوعه إلى عقيدة السلف -إن ثبت- من الآثار.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الدراسات السابقة:

هناك دراسات حول شخصية الشيخ ابن عزوز، وحول بعض الجوانب من علمه أو أعماله، وإن كانت قليلة في حقه.

وهذه الدراسات -في الحقيقة- لم تعالج موضوع البحث معالجة تامة من جميع النواحي، وإنما كانت تمسح به مسحاً، أو ترشح رشحاً؛ إذ كانت حول مسائل معينة من شخصيته العلمية أو العملية، ولا يخلو بعضها من قصور أو تقصير في معالجة هذه القضية.

وأهم تلك الدراسات ما يلي:

١- شخصية محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي: وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي المعاصر، إعداد الطالبة: برجي رزيقة، وإشراف الأستاذ: كربوعة سالم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة خيضر – بسكرة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وتقع هذه الدراسة في ثلاث وسبعين صفحة، وجاءت في ثلاثة فصول.

والذي له علاقة في هذا البحث هو المبحث الأول من الفصل الثالث، وعنوانه: (فكرُه الديني) حيث جاء بعد هذا العنوان ما نصه: "المكي بين غوائل الطرقية وعقيدته"[(١)].

ثم جاء بعدها ما نصه: "يذهب بعض الكتاب والباحثين إلى أن الشيخ بن عزوز المكي كان صوفيًّا، ومات على ذلك ، وهناك طائفتان ناقشتا الموضوع"[(٢)].

ثم ذكرت الباحثة الطائفتين المذكورتين في ثلاث صفحات، وأوردت كلام الطائفتين بكلام غير واضح، وبنقولات مبتورة.

والناظر في ذلك المبحث لا يتصور الخلاف على وجهه، ولا يخرج منه بنتيجة واضحة فضلاً عن كونه يتقصى الأقوال، ويرجح بينها.

---

(١) شخصية ابن عزوز المكي ودوره الإصلاحي ص٤٢.

(٢) شخصية ابن عزوز المكي ودوره الإصلاحي ص٤٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

٢- الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة: وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية - تخصص عقيدة، إعداد الطالب حسين نوري، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية ١٤٣٢- ١٤٣٣هـ - ٢٠١١-٢٠١٢م، وهي رسالة تقع في مائة وخمس وتسعين صفحة.

ولم يتطرق الباحث إلى مسألة رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، ولا ما جرى حولها من الخلاف، وإنما أشار إشارةً عابرةً إلى اتباعه لفهم السلف الصالح، وذلك في فقرة (ثالثاً) من المطلب الثاني من المبحث الأول من الفصل الثاني؛ حيث أوضح فيه أن من منهج ابن عزوز في الاستدلالِ اتِّباعَه لفهم السلف الصالح، وأن ابن عزوز جعل منهجه في فهم الوحي مرتبطاً بمنهجهم.

٣- جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما: د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع، وقد جاء الكتاب في اثنتين وسبعين وثلاثمائة صفحة، والمقصود بالجمعية المذكورة جمعية العلماء الجزائريين.

والعلاقة بين هذه الدراسة وموضوع البحث ما جاء في المبحث الثاني من الفصل الأول، حيث جاء عنوان ذلك المبحث: (نبذة تاريخية عن الطرق الصوفية المعاصرة لجمعية العلماء)، وجاء المطلب الثاني منه بعنوان: (الطريقة الرحمانية).

ثم ترجم لعدد من مشايخها، ومن ضمنهم الشيخ محمد المكي بن عزوز، وتكلم على شيء من سيرته، ثم ذكر ما وقع فيه الخلاف من انتسابه للطريقة الرحمانية، بل للتصوف أصلاً، وأورد مقابل هذا الرأي من ينكر انتسابه للتصوف، ويعد الشيخ سلفيًّا.

ثم ذَكَرَ بعض الأقوال عن الشيخ المكي وعن غيره في ذلك دون استقصاء، فضلاً عن الترجيح، وذكرِ الأدلة لأيٍّ من الأقوال؛ إذ الكلام في ذلك يقع في أقل من صفحة واحدة.

وهناك مقالات وأبحاث لا تأخذ طابع البحث الأكاديمي، وقد تطرقت لهذا الموضوع، وأهمها: مقال بعنوان: "الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية" لسمير سمراد مجلة الإصلاح، العدد (١٢) نوفمبر ٢٠٠٨م، وهو منشور في الشبكة العالمية الإنترنت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وفي هذا المقال تعريف بالشيخ ابن عزوز، وإيراد لبعض أقواله، وبعض ما قيل فيه دُوْن تبويب لذلك، وإنما هو مقال مسترسل، ويتخلل تلك النقولات عنوانات جانبية يضـــعها الكاتب بين الفقرات المنقولة، ويقال عن هذا المقال ما قيل في الدراســـات الماضية من ناحية ترك الاستقصاءِ، والترجيحِ، وذكر الأدلةِ، والأسبابِ، والآثار.

فهذه أهم الدراسات في موضوع البحث[٣]، وهي كما –تبيَّن– لم تعط الموضوع حقه؛ فبقي فيه إشكالات، تساؤلات تحتاج إلى إجابة عنها.

منهج البحث:

سَيُجْمَعُ فيه ما بين المنهج الوصفي، والمنهج النقدي، والتحليلي.

خطة البحث:

تتألف من المقدمة، وما تخلَّلها من التعريف بالموضوع ومشكلة البحث، وأسبابه، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة فيه، ومنهجه، وتقسيماته.

تقسيمات البحث:

تتكون من تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك كما يلي:

تمهيد: تعريف بالشيخ محمد المكي بن عزوز

المبحث الأول: عقيدة ابن عزوز الأولى، والأقوال في رجوعه إلى عقيدة السلف

المبحث الثاني: مناقشة الأقوال في رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف

المبحث الثالث: دلائل رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، وأسبابه، وآثاره

---

(٣) وهناك بعض المقالات التي لم يذكر أسماء أصحابها، ويغلب عليها جانب التعصب، ويغيب عنها طابع البحث العلمي، وسيأتي ذكر لها في غضون هذا البحث.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الخاتمة: وتتضمن خلاصة لأهم نتائج البحث، والتوصيات

فإلى تفصيل ذلك، والله المستعان وعليه التكلان.

تمهيد: تعريف بالشيخ محمد المكي بن عزوز

المسألة الأولى: سيرته الشخصية

أولاً: اسمه، ونسبه، وشهرته، وكنيته، وألقابه، ومولده:

١– اسمه: هو محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالمؤمن بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن علي بن عبدالعزيز بن سليمان بن بلقاسم بن سليمان بن بلقاسم بن أحمد بن أدليم بن عزوز بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن منصور بن عبدالرحمن بن علي ابن يعلى بن محمد بن سعيد بن عبدالله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–[٤].

٢– شهرته: أكثر ما اشتهر به من الأسماء والألقاب لقب (ابن عزوز)، و(محمد المكي بن عزوز)، ولهذا كانت رسائله وكتبه تُعَنْوَنُ بـ: رسائل ابن عزوز أو مجموعة الرسائل للعلامة محمد المكي بن عزوز.

٣– كنيته وألقابه: أما كنيته فقد كان يكنى بأبي عبدالله، ولم تُذكر هذه الكنية في كُتِبِ مَنْ ترجم له؛ فَأُخِذَت من تقاريظ العلماء لبعض كتبه.

ويلقب بألقاب عدة، ويُعْرَف بأوصاف كثيرة منها ما يعود إلى نسبه، ومنها ما يعود إلى أصله وموطنه، ومنها ما يعود إلى فضله وعلمه[٥].

---

(٤) رسائل ابن عزوز، جمع وتحقيق حفيده علي الرضا الحسيني التونسي، ص١٣.

(٥) انظر رسائل ابن عزوز ص٦–٨، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٣١–٣٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

٤– مولده: ولد الشـيخ محمد المكي بن عزوز في ١٥رمضـان عام ١٢٧٠هـ في مدينة نفطة بأرض الجريد في الجنوب التونسي(٦).

ثانياً: نشأته: نشأ الشيخ ابن عزوز –رحمه الله– نشأة كريمة يكتنفها عاملان رئيسان:

أما الأول منهما فطبيعة البلدة التي ولد فيها، وترعرع في أكنافها، وأما الآخر فهو عراقة البيت الذي نشأ فيه.

أما بلدته نفطةُ – فكانت مقراً للعلم والعلماء؛ وكانت تُعرف بالكوفة الصـغرى؛ إذ كانوا يشـبهونها بمدينة الكوفة العراقية؛ لما كانت تحفل به من آراء مختلفة، ومن حلقات للعلم، والتدريس والمناظرة التي تعقد في مساجدها وجوامعها(٧).

وأما العامل الآخر فعراقةُ البيتِ الذي نشأ فيه، وشرفُ عائلته، ومكانتها العلمية السامية؛ فالشيخ ابن عزوز ينحدر من بيت عريق في الديانة والفضل، والمنزلة الجليلة المنقطعة النظير والصيت المطلق في الخير والهداية والصلاح، والعلم، والأدب، والثقافة، إلى جانب السياسة والجهاد(٨).

وهكذا نشـأ الشـيخ محمد المكي بن عزوز في نفطة تلك البلدة التي كانت تعج بالعلم والعلماء، وفي ذلك الجو العائلي المفعم بالعلم، والصلاح، وسائر الفضائل، يضاف إلى ذلك ما أوتي من مواهب، وفضائل، وما اكتسب من جميل التربية وحسن التوجيه.

ثالثاً: أخلاقه: كان الشـيخ ابن عزوز على قدر كبير من الأخلاق العظيمة المتمثلة بسـخاوة النفس، وجزالة المروءة، وحسـن المنطق، وعزة النفس، والترفع عن الصـغائر، وكان ذا عدل، وإنصـاف، وحب للناس عموماً، ولأهل العلم وطلابه على وجه

---

(٦) انظر الأعلام لخير الدين الزركلي، ١٠٩/٧، ورسائل ابن عزوز ص٨، و١١.

(٧) انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، ص٣٣، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره لمحمد مواعده، ص١٨-١٩ .

(٨) انظر تراجم الأعلام للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ص١٨٩، وانظر رسائل بن عزوز ص١٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الخصوص؛ فلا غرو أن يكون محل الثناء عند معاصريه وعارفي فضله، بل عند جميع من يسمع به؛ لذا كان موضع الاهتمام بما يصدر عنه، وما ينسب إليه محل عناية العلماء، والباحثين(٩).

رابعاً: هجرته إلى المشـرق: عاش الشـيخ ابن عزوز فترة الاحتلال الفرنسـي للجزائر، وكان اسـم عائلة (ابن عزوز) يحمل عند الاستعمار معنى المناهضة له؛ فقد كان والده وأعمامه وأسرته عموماً يحملون الكراهية والمقاومة للاستعمار، وهو مما حملهم على الهجرة من الجزائر إلى تونس(١٠).

ولما كان في تونس كان يتردد كثيراً على الجزائر، ويلقي فيها دروســـاً، ويدعو الناس للأخذ بأســـباب العلم، والتخلص من الاستعمار الفرنسي؛ فكان لتلك الجهود أثر في جَعْلِه تحت مراقبة مستمرة من قبل أجهزة الأمن الفرنسي –كما تشير إلى ذلك تقاريره–(١١).

وهذا ما جعله يعيش في مضايقات كثيرة في الجزائر وتونس؛ فكان ذلك سبباً في هجرته من تونس إلى الآستانة في تركيا، وذلك عام ١٣١٦هـ(١٢).

المسألة الثانية: سيرته العلمية

الكلام على سيرة ابن عزوز العلمية يطول، والمقام لا يسمح بالتفصيل.

والذين تكلموا على تلك السيرة أوضحوا ما كان من شأنه في طلب العلم في بواكير عمره إلى أن أصبح عالماً نحريراً يشار إليه بالبنان.

وبعض الباحثين يقسم شخصيته العلمية إلى مرحلتين رئيستين(١٣) وهما:

---

(٩) انظر رسائل ابن عزوز ص١٥، و٢٢.

(١٠) انظر الشيخ المكي ين عزوز ومنهجه في العقيدة ص٣٦-٣٧.

(١١) انظر الشيخ المكي بن عزوز حياته وآثاره ص ص١٩-٢٣.

(١٢) انظر تراجم الأعلام ص١٩٢-١٩٣، ورسائل ابن عزوز ص١٢.

(١٣) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٣٨.

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البدايات للتأصـيل العلمي: وفي هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم على أيدي المشايخ في بلدته (نفطة)[١٤].

المرحلة الثانية: وهي مرحلة المجد العلمي، والتبحر في العلوم: فبعد أن اكتمل في التحصـــيل، وملأ وِطَابَهُ من الجلوس على مشـايخ بلده، وتشبَّع بالقدر الكافي في العلوم– اشـرأبت نفسـه إلى الاسـتزادة؛ فارتحل إلى تونس العاصـمة كما يرتحل الطلاب إلى العواصم الكبرى؛ فالتحق بالمعهد الزيتوني؛ فلقي فيه علماء أجلاء؛ فلازم كثيراً منهم.

وبذلك استحق أن يوصف بالعالم الجليل المتفنن في المنقول والمعقول قبل أن يصل إلى السابعة والثلاثين من عمره.

ومع ذلك لم يكتفِ بذلك، بل واصل الجد، والدأب في طلب العلم؛ فقد سافر إلى بلدان أخرى مبتغياً مزيداً من العلم راغباً في مزيد من الإجازات العلمية من علماء ومشـايخ عصـره؛ فَتَحَصَّـل له من ذلك ما يقارب من ثمانين مجيزاً من تونس، والجزائر، والمغرب، ومصر، والحرمين الشريفين، والآستانة.

وكان لديه مكتبة ينفق النفيس لإثرائها؛ إذ كان كثير التهافت على جمع الفهارس، وتملُّكها، وكان مطلعاً على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب، وكان عالماً باللغتين: التركية والفارسية[١٥].

ولِمَا اشْتَهَر به الشـيخ ابن عزوز –رحمه الله– من التفنن في المعقول، والمنقول، والفروع، والأصـول، وكان حائزاً لقصـب السـبق بين أقرانه – أسـندت إليه المهامُّ الرفيعةُ وهو في مقتبل الشـباب؛ حيث تصـدر للتدريس، وإلقاء المحاضـرات في جامع الزيتونة وغيره من الجوامع، وفي المجالس الخاصة والعامة، وفي سنة ١٢٩٧هـ انتخب لخطة القضاء بنفطة، وعمره سبعة وعشرون عاماً؛ فقام بها خير القيام، ثم اعتزلها اختياراً عام ١٢٩٨هـ[١٦].

هذا وقد أقرأ العديد من الكتب في تونس، وغيرها.

---

(١٤) انظر تراجم الأعلام ص ١٩٠–١٩١، ورسائل ابن عزوز ص١١، و١٤، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص ٣٨–٣٩ .

(١٥) انظر تراجم الأعلام ص١٩٠، ورسائل ابن عزوز ص١١، و١٤–١٧، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص ٣٩–٤١ .

(١٦) انظر تراجم الأعلام ص١٩٢، وانظر رسائل ابن عزوز ص١٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ولما هاجر إلى الآستانة –كما يقول العلامة محمد الفاضل بن عاشور–: "نال بدار السلطنة العثمانية ما يليق بمثله من أهل العلم والفضل؛ فَسمِّيَ مدرساً للحديث الشريف بدار الفنون، ثم مدرساً بمدرسة الواعظين، وكان مرموقاً من عموم أهل الآستانة بعين اعتبار عزيز المثيل، ولاسيما في الوسط العلمي، والدوائر العربية"(١٧).

هذا وقد تتلمذ عليه تلامذة كثر، وتخرج به جم غفير من العلماء في شتى العلوم النَّقلِية، ومن أشهر هؤلاء: ابنُ أختِه حليمةَ السعديةِ بنتِ عزوز: شيخُ الأزهر الإمامُ محمد الخضر حسين، وأخوه الشيخ محمد الجنيدي بن الحسين، والأستاذ محسن زكريا، والشيخ عبدالعزيز الثعالبي، والشيخ عبدالحي الكتاني، وغيرهم كثير(١٨).

ومن خلال ما مضى يتبين لنا فضل الشيخ محمد المكي بن عزوز، وعلو كعبه ومنزلته العلمية لدى علماء عصره ومن جاء بعدهم.

وبعد حياة حافلة بالعلم، والتعليم، والتأليف، والإصلاح فارق الشيخ محمد المكي بن عزوز الحياة؛ حيث أصابه في شهر شوال سنة ١٣٣٣هـ مرض أعيا الأطباء علاجه، ولازمه مدة أربعة أشهر إلى أن وافاه الأجل عند غروب الشمس يوم الخميس ٢صفرسنة١٣٣٤هـ، ودفن في اليوم التالي بمقبرة (يحيى أفندي) الكائنة بمنطقة (أورتة كوي) في مدينة اسطنبول، وقد شارك في تشييع جنازته كبار رجال الدولة بصفة رسمية، وكبار العلماء، والشيوخ، والآلاف من طلابه ومحبيه، وقد كان وقع هذا المصاب عظيماً في العالم الإسلامي، ورثاه العلماء والأدباء(١٩).

المسألة الثالثة: آثاره

لقد ترك الشيخ محمد المكي بن عزوز آثاراً كثيرة قَيِّمة تشهد له بطول الباع، والتفنن في شتى العلوم، وهي —كما يصفها مترجموه– في غاية ما يكون من الجودة، والتحرير، وروعة البيان.

---

(١٧) انظر تراجم الأعلام ص١٩٢-١٩٣، وانظر رسائل ابن عزوز ص١٢، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٤٣.

(١٨) انظر رسائل ابن عزوز ص١٥، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٤٥-٤٦.

(١٩) انظر الشيخ المكي بن عزوز حياته وآثاره ص١٨٢، والشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٦٣، وانظر ديوان: خواطر الحياة للإمام محمد الخضر حسين ص٢٥٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

فلا غرو –إذاً– أن يكثر الطلب على كتاباته؛ إذ يشير غالباً إلى سبب تأليفه وهو أسئلة ترد عليه، أو طلبات تقدم إليه من بلده، أو من بلاد قريبة أو بعيدة؛ كي يكتب في موضوع مَّا، أو يحرر الكلام في مسألة تُلِحُّ الحاجة إليها.

والناظر في عنوانات آثاره يلحظ هذا التميز، والتفرد؛ فبعضها مبتكر لم يُسْبَق إليه، وبعضها أضفى عليه من الجدَّة وحسن التحرير ما يرفعه إلى أعلى مقامات التأليف[٢٠].

هذا وقد اعتنى الباحثون في سيرته بتعداد مؤلفاته وأوصلها بعضهم إلى مائة وثلاثة عشر مؤلفاً، وأوصلها بعضهم الآخر إلى أكثر من ذلك.

والنظرُ في عنواناتها –كما مضى– ينبئ عن تفنن بارع، وموسوعية فذة نادرة؛ فمن تلك المؤلفات: الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية، والاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء، واختصار الشفا، والأربعون المكية، وإرشاد الحيران في خلاف قالون وعثمان، وتذكرة المنصفين في أنَّ المكتشفات الجديدة لا تكذب الدين، والتفريح بحل الإشكال في صلاة التراويح، وثبوت كرامات الأولياء، والجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب، والحق الصريح في المنسك على القول الصحيح، وديوان ابن عزوز "شعاع الأدب"، ورفع النزاع في معنى التقليد ومعنى الاتباع، والرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم، وعقيدة الإسلام، والفائدة في تفسير سورة المائدة، وفتح الخلاق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق، وفتح السلام في نجاة من لم تبلغهم دعوة الإسلام، والفرائد في شرح بطاقة العقائد، والقول القيم في حال ابن تيمية وابن القيم[٢١].

---

(٢٠) انظر تراجم الأعلام ص١٩٢، ورسائل ابن عزوز ص١٢ و١٥.

(٢١) انظر رسائل ابن عزوز ص ٤٢٥–٤٢٩، وانظر إلى بحث محمد المكي بن مصطفى بن عزوز وآثاره للأستاذ كمال مجيدي، ص١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المبحث الأول: عقيدة ابن عزوز الأولى، والأقوال في رجوعه إلى عقيدة السلف

وقع الخلاف في حقيقة رجوع الشيخ ابن عزوز إلى عقيدة السلف، فهناك من ينكر ذلك إطلاقاً، ويرى أنه باق على ما كان عليه أول أمره، وهناك من يرى أنه رجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف الصالح، وتفصيل تلك الأقوال هو محور الكلام في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: عقيدة ابن عزوز الأولى

نشأ الشيخ محمد المكي ابن عزوز في مدينة نفطة في بلاد تونس، وفي أسرة فضل وعلم، وكانت بيئته مالكية أشعرية صوفية تميل إلى التعصب المذهبي؛ فكان الشيخ في بداية أمره مالكياً متعصباً للمذهب لا ينتقل إلى خلافه ولو كان الصواب في القول الآخر أظهر.

وهذا ظاهر من كلامه، وكلام من ترجموا له، يقول –رحمه الله– عن حاله في تلك الفترة: "وكنت أرى قول فقيه المعتمد كذا، أو اسْتَظْهَر شيخنا كذا –كأنه بين دفتي المصحف – واللهِ –بل آكد–أستغفر الله– لأني أقول الآية لا أفهمها مثله، ونظن أن كل كلمة قالها مالكي فهي مقولات مالك، أو حنفي فأبو حنيفة، أو شافعي... الخ، والخروج عن الأربعة كفر ولو أيده ألف حديث"[٢٢].

ويقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في معرض ترجمته للشيخ محمد المكي بن عزوز متحدثاً عن جده[٢٣]: "تخرج على الصوفي الأشهر الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأزهري الجزائري ناشر الطريقة الرحمانية الخلوتية، وعم ذكر فضله بانتشار الطريقة التي عظمت بها سمعته، وعلت شهرته"[٢٤].

ثم تكلم على والده الشيخ مصطفى، وكونِه أولَ من استقر من فروعه بالبلاد التونسية، وأنه بنى زاويته العظيمة في مدينة نفطة، وأن ابنه الشيخ محمداً المكي نشأ في ذلك الوسط، ثم ذكر رحلةَ الشيخ محمد المكي إلى الجزائرِ، وتردُّدَهُ عليها، وقال: "واتصل

---

(٢٢) الرسائل المتبادلة، ص٩.

(٢٣) المقصود: جد ابن عزوز.

(٢٤) تراجم الأعلام ص١٨٩–١٩٠، وانظر رسائل ابن عزوز ص١٠.

هناك[٢٥] بالأستاذ المربي الأشهر الشيخ محمد ابن أبي القاسم صاحب زاوية (بو سعادة) بين سلسلة جبال الزاب، والسبخة المعروفة بـ(زاوية الهامل) فاتخذه شيخ سلوك، وتربية، وتوجيه.

واتصل بعلماء الجزائر، وأخذ عنهم، ثم رجع إلى تونس مكتمل الصبغة الصوفية السنية الأدبية"[٢٦].

وقال عنه محمد بن مخلوف صاحب كتاب (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية): "أما التصوف فقد رُزق فيه الذوق الغريب، والحذق العجيب"[٢٧].

وقال عنه الشيخ أحمد زيني دحلان في إجازته التي راسله بها بخطه وخَتْمِهِ: "...سراج أفريقيَّة، بل بدر تلك الأصقاع الغربية، الأستاذ الكامل، جامع ما تفرق من الفضائل والفواضل مولاي السيد الشريف محمد المكي المفتي بأيالة تونس المالكي مذهباً، الخلوتي طريقةً"[٢٨].

وجاء في ترجمته في مقدمة رسالته (السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني) المطبوع عام ١٣١٠هـ ما نصه: "أما شيخه في الطريقة والتصوف، ودقائق علوم القوم – فهو الولي السالك الأستاذ الكبير والعالم الشهير الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الحسيني الهاملي بلداً من الغرب الأوسط إمام الطريقة الخلوتية في هذا العصر أحياه الله حياة طيبة، وأمدنا ببركاته، وقد اعتنى بتلميذه صاحب الترجمة، وأجازه علماً، وطريقةً"[٢٩].

فالشيخ المكي بن عزوز –إذاً– كان صوفي المشرب، والمنشأ؛ فقد تربى، وانتسب إلى الطريقة الرحمانية الخلوتية[٣٠].

---

(٢٥) يعني بالجزائر.

(٢٦) تراجم الأعلام ص١٩١، ورسائل ابن عزوز ص١١.

(٢٧) رسائل ابن عزوز ص١١.

(٢٨) المرجع السابق ص٢٣.

(٢٩) رسائل ابن عزوز ص٢٣-٢٤.

(٣٠) وهي طريقة من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في الجزائر حيث كانت تستحوذ على ٥٠ % من عدد الزوايا في الجزائر، وتنتشر زواياها في الشرق، والوسط، والجنوب حتى تونس، وقد أسسها محمد بن عبدالرحمن القشتولي الجرجري المولود سنة ١٧٢٠م، ويلقب بالزواوي؛ نسبة إلى بلدة زاوة التي نشأ بها، ويلقب –أيضاً– بالأزهري؛ نسبة إلى أزهر مصر؛ حيث جاوره مدة طويلة من سني حياته. انظر الزوايا والطرق بالجزائر

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وقد برز ذلك جليًّا في حياته العلمية، والعملية الأولى.

ومما يذكر في ذلك الشأن أنه لما زار مدينة (طُوْلْقة) في الجزائر جعل درساً موضوعه (سورة الضحى) وبعد الدرس أنشأ قصيدة في مدح شيخه أحد سادة الصوفية، وهو علي بن عثمان، ويقول في مطلعها:

مــا دامــت الأشــراف في الــدنيا تُــرى حمـــــداً لباســـــط الأنام في الـــــورى

ويقول فيها:

ولايــــة كـــبرى وبالعلـــم اتصـــف لاسـيما مـــن حـــاز مـــع ذاك الشـــرف

كشـــيخنا طـــود الأســـانيد علـــي هـــو ابـــن عثمـــانٍ زكـــي العمـــل

فمــــن دعــــاه عــــاجلاً أغاثـــه فكـــم لـــه في النـــاس مـــن إغاثـــة[٣١]

وقد صرح الشيخ عبدالحميد بن باديس –رحمه الله– بأن الشيخ المكي بن عزوز كان طرقيًّا صوفيًّا، حيث قال: "كان هذا العالم الجليل قبل رحلته إلى المشرق من أساطين الطرقية"[٣٢].

وكان من شأن الشيخ المكي بن عزوز في تلك الفترة – الكتابةُ، والردود دفاعاً عن تلك العقيدة

وأشهر ما عرف عنه في ذلك كتابه الشهير المعنون بـــ: (السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني) الذي طبع في المطبعة التونسية عام ١٣١٠هـ.

وهو رد على رسالة عنوانها: (رسالة الحق الظاهر في شرح حال الشيخ عبدالقادر).

تاريخها، ونشـــاطها، لصـــلاح مؤيد العقبي، ص١٥٨، وتعريف الطريقة الرحمانية الخلوتية والزاوية القاسمية، إعداد محمد فؤاد، وانظر جمعية العلماء والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما د. نور الدين أبو لحية.

(٣١) انظر مجلة النجاح الجزائرية عدد ٢٧٢، في ٢٩رجب، ١٣٤٤هـ.

(٣٢) انظر مجلة الشهاب، ١٣٥٦/١/١٣هـ، ص٢٦-٢٧.

يقول الشيخ محمد المكي بن عزوز في مقدمة كتابه المذكور: "أما اسم مؤلف الرسالة –على ما في خطبتها– فهو علي بن محمد القرماني الحنفي(٣٣) ولا حاجة لنا بِتَعَرُّف ترجمته وكُنْهِ حاله ورتبته؛ إذ الكلام مع الكلام كما يقول مشايخنا الأعلام.

والمناسب أن تسمى (الباطل الظاهر في إساءة الأدب مع الشيخ عبدالقادر).

وعدد صفحاتها نحو الأربعين أو تنيف"(٣٤).

ثم شرع في تفنيد ما جاء في الكتاب المذكور، وفي ذلك الرد تتجلى عقيدة الشيخ المكي بن عزوز الأولى؛ حيث اشتمل ذلك الكتاب على كثير من الأباطيل، والمبالغات والضلالات التي لا يتسع المجال لذكرها بالتفصيل.

وقد اختزل ما احتوى عليه ذلك الكتابُ: العلامةُ محمود شكري الآلوسي في كتاب بعثه إلى العلامة جمال الدين القاسمي –رحمهما الله– حيث قال: "وهذا الرجل –يعني المكي بن عزوز– أعرفه منذ عدة سنين؛ فإن كتابه (السيف الرباني) لما طُبع في حضرة تونس أرسل منه لنقيب بغداد عدداً كثيراً من نُسخه؛ فأعطاني النقيب يومئذٍ نسخة منه"(٣٥).

ثم بيَّن الشيخ الآلوسي خلاصة رأيه في نسخة الكتاب التي وصلت إليه، فقال: "فطالعتها؛ فرأيت الرجل من الأفاضل غير أنه لم يقف على الحقائق؛ فلذلك اسْتَحْكَمَت الخرافاتُ في ذهنه؛ فتكلم على السلفيين، وصحح بعض الأكاذيب التي يتعلق بها مبتدعة الصوفية، وغير ذلك من تجويز الاستغاثة، والتوسل بغير الله، وإثبات التصرف لمن يُعْتَقَدُ فيهم الولاية، والاستدلال بهذيان ابن دحلان ونحوه"(٣٦).

---

(٣٣) أشار القاسمي إلى أن مؤلف رسالة (الحق الظاهر...) هو الصوفي محمد بن حسن وادي المعروف بأبي الهدى الصيادي الرفاعي المولود في قرية خان في حلب سنة ١٢٦٦هـ، المتوفى سنة ١٣٢٧هـ، يقول القاسمي–رحمه الله–: "وكان –يعني المكي بن عزوز– رد على الصيادي في تأليف سماه (السيف الرباني في الرد على القرماني)، والقرماني اسم بلا مسمى انتحله الصيادي، وعزا له كتاباً كان لفَّقه على عادته" الرسائل المتبادلة ص١٠١–١٠٢، وانظر في أخبار أبي الهدى الصيادي، وغرائبه، وأطواره إلى كتاب (المذكرات) للعلامة محمد كرد علي، ٢٤٢/١–٤٥٠.

(٣٤) السيف الرباني ضمن رسائل ابن عزوز ص١٤٠.

(٣٥) الرسائل المتبادلة ص١١٣–١١٤.

(٣٦) المرجع السابق ص١١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ويعني بابن دحلان الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤هـ[٣٧]، والذي كان أحد من أجازوا الشيخ المكي بن عزوز، وكان من المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد ألف رسالة عنوانها: (الدرر السنية في الرد على الوهابية).

وقد رد عليه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي بكتاب سماه: (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان)[٣٨].

ويقصد الآلوسي باستحكام الخرافات في ذهن الشيخ ابن عزوز، وكلامه على السلفيين ونحو ذلك–ما جاء في كتاب (السيف الرباني) من الغلو في الأولياء، وفي الشيخ عبدالقادر الجيلاني –رحمه الله– وما ورد فيه من الإساءة للشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله–.

وذلك كأمثال قول ابن عزوز في فصل عقده في كتابه (السيف الرباني): وعنون له بـ: (جواز الاستغاثة بالأولياء، وإثبات استغاثتهم)[٣٩].

ثم قال تحته رداً على صاحب (رسالة الحق الظاهر): "وقوله[٤٠]: (وأن يَدَّعي فعل الله، فيقول: أُطْفِئ الحريق عن بيتك، وأصون حريمك الخ).

أقول[٤١]: لمثل ذلك فليتعجب المتعجبون؛ يزعم الرجل أنه دارس تآليف الشعراني، والحاتمي، والسهروردي، وأمثالهم، ويجهل الضروريات من اصطلاحات القوم، ومقاصد تعبيراتهم، وفنون كراماتهم؛ فأقواله تناقضت منطوقاً ومفهوماً"[٤٢].

---

(٣٧) انظر ترجمته في الأعلام ١٢٩/١.

(٣٨) يقول الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) مبيناً وقوف أحمد زيني دحلان في وجه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: "وكان أشد هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، ألف رسالة في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه". صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص٧–٨.

(٣٩) انظر السيف الرباني ضمن رسائل ابن عزوز ص١٧٦.

(٤٠) يعني صاحب (رسالة الحق الظاهر).

(٤١) القائل الشيخ المكي بن عزوز.

(٤٢) السيف الرباني ضمن رسائل ابن عزوز ص١٧٦.

ثم يَقْرِن بين ما يقوله صاحب الكتاب وبين الوهابية منكراً عليهم جميعاً مسلكهم في إنكار جواز الاستغاثة بغير الله، فيقول: "وهذا المسلك الذي سلكه هو مذهب الوهابية من الخوارج؛ حيث ضللوا السواد الأعظم من المسلمين باستغاثتهم بالأولياءِ، والأنبياءِ، وتوسلِهِم إلى الله بهم، وجعلوا المسلمين مشركين لذلك.

ولو عرفنا تاريخ عصر صاحب هاته الرسالة لعرفنا المتابعة بينه وبين ابن عبدالوهاب رئيس تلك الطائفة الذي كان ابتداء ظهوره سنة ١١٢٣هـ[٤٣] أيهما المقتدي بصاحبه"[٤٤].

والحاصل أن عقيدة الشيخ ابن عزوز الأولى كانت على غير عقيدة السلف الصالح القائمةِ على ما جاء في الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، وعلى الاتِّباع، وترك الابتداع.

وهذا مستفيض عند كل من عرف حاله على نحو ما سبق ذكره.

وهو ما صرح به علماء عصره كالآلوسي وابن باديس في كلامهما السالف والقاسمي في قوله عنه في إحدى رسائل الآلوسي:"حضره العالم النحرير سليل العلماء الأفاضل السيد محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل الآستانة كان من أشداء المتعصبين للجهميين والقبوريين" [٤٥].

(٤٣) ليس هذا بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ إذ هو مولود عام ١١١٥هـ، وبداية دعوته عام ١١٥٧هـ.

(٤٤) السيف الرباني ضمن رسائل ابن عزوز ص١٧٦.

(٤٥) الرسائل المتبادلةص١٠١،وسيأتي بقية كلام القاسمي والآلوسي، وابن باديس عن ابن عزوز في المباحث التالية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

المطلب الثاني: الأقوال في رجوعه إلى عقيدة السلف

المسألة الأولى: القول بإثبات رجوعه إلى عقيدة السلف

مر في المطلب الماضــي الكلام على عقيدة ابن عزوز الأولى التي نشــأ وتربى عليها، وكَتَب في شــأنها، ونافح عنها، وأنها كانت عقيدة صوفية تشتمل على ضلالات شتى.

وقد اســتمر -رحمه الله- على هذه العقيدة إلى حين هجرته المشـرقية إلى الآســتانة واســتقراره فيها، وذلك عام ١٣١٦هـ، وقد كان لهذه الهجرة أبلغ الأثر في تنوع علاقاته، واتساع مداركه وآفاقه، واطلاعه على ما لم يمكنه الاطلاع عليه من الكتب خلال فترة إقامته الأولى.

وهناك ترسخت عنده ملكة الاجتهاد، والتحرير، والتحليل، والنقد، والنظر في الأدلة، ومراجعة المألوف السائد الذي لا يستند على براهين قاطعة(٤٦)، وصــارت له أقوال، وتحريرات، ومناقشــات في ذلك الشــأن، وأصــبح عارفو علمه وفضــله ينظرون فيما يبديه من آراء جديدة، وصــارت التســاؤلات تطرح: هل يعد ذلك تحولاً من ابن عزوز عن عقيدته الأولى، ورجوعاً إلى عقيدة السلف؟ أو أن ذلك لا يعدو كونه مجردَ مناقشاتٍ وتساؤلات لا تعني بالضرورة تزحزحه عما كان عليه من قبل؟ .

ومن هنا نشأ الخلاف في كونه قد رجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف(٤٧).

والكلام في هذه المسألة سيدور حول قولِ مَنْ قال برجوعه إلى عقيدة السلف؛ حيث يرى أكثر الباحثين في شأن ابن عزوز أنه رجع حقاً عن عقيدته الأولى بعد هجرته المشــرقية، وأن ذلك مســتند على دلائل، وقرائن كثيرة ســواء من أقواله، أو آرائه، أو ســـيرته العملية، أو ما يراه العلماء المعاصـــرون له من خلال معرفتهم به، وتتبعهم لأطوار حياته، والمكاتباتِ التي كانت بينهم وبينه؛ فذلك مما لا يدع مجالاً للشك في رجوعه عن سيرته الأولى، واعتناقه مذهب السلف في العقيدة(٤٨).

---

(٤٦) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٤٧-٤٨.

(٤٧) انظر جمعية العلماء والطرق الصوفية ص٥٣-٥٥، وشخصية الشيخ محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي ص٤٢-٤٤.

(٤٨) انظر الشيح المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٤٨-٤٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

يقول الدكتور نور الدين أبولحية –في معرض ترجمته للشيخ محمد المكي بن عزوز بعد إيراده قول من قال بعدم رجوعه إلى عقيدة السلف–: "وفي مقابل هذا الرأي نَجِدُ من ينكر هذا، بل يعتبر الشيخ وهابيًّا سلفيًّا"[٤٩].

وممن يرى هذا الرأي الأستاذ حسين نوري في رسالته الماجستير الموسومة بـ: (الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة) حيث بنى تلك الرسالة على هذا الرأي، وجعل تقريراتِ ابن عزوز جاريةً على مقتضى ذلك.

وقد عقد في المبحث الأول من الفصل الثاني مطلباً عنون له بـ: (منهجه في الاستدلال بالنقل)، وقال في فقرة من ذلك المطلب: "ثالثاً: اتّباع فهم السلف الصالح –رضي الله عنهم"[٥٠].

ثم أوضح مقصود الشيخ بالسلف الصالح، وأنهم أهل القرون الثلاثة المفضلة، ثم ساق أقوالاً عنه في ذلك[٥١] ثم قال: "فالشيخ –رحمه الله– في تقريره لمسائل العقيدة يتقصى فهم السلف الصالح –رحمهم الله– فكان إذا خالفه عالم في مسألة من مسائل العقيدة يحاجُّه بإيجاد أثر عن السلف يوافق مقالته؛ فإن لم يجد فيها أثراً عنهم كان ذلك عنده دليلاً على ضعف ما ذهب إليه مخالفه"[٥٢].

ثم يضرب لذلك مثالاً فيقول: "مثال ذلك مسألة ثبوت الكرامة؛ حيث احتج فيها على من أنكرها بعدم وجود أثر عن السلف في ذلك؛ حيث خاطبه قائلاً: "(وهل قال بذلك[٥٣] أحد من أهل القرون الثلاثة؟).

ومما يبين اتباع الشيخ لطريقة السلف أنه كان يشكو إلى بعض زملائه هَجْرَ أهل زمانه اتِّبَاعَهم[٥٤]"[٥٥].

---

(٤٩) انظر جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية ص٥٤.

(٥٠) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٨٤ .

(٥١) انظر المرجع السابق ص٨٤-٨٥.

(٥٢) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٨٥.

(٥٣) يعني من قال بذلك الإنكار؟

(٥٤) يعني اتباع السلف.

(٥٥) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٨٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

وممن يرى هذا الرأي -أيضـــاً- الأســـتاذ سمير سمراد؛ حيث يرى أن الشـــيخ محمد المكي بن عزوز رجع حقيقةً إلى عقيدة السلف(٥٦).

وممن يرى ذلك – أيضاً – الشيخ محمد مجد مكي شارح كتاب (العقيدة الإسلامية) لابن عزوز؛ حيث يرى أن مؤلفات ابن عزوز في العقيدة، وبخاصة الرسالة المذكورة – العقيدة الإسلامية – "تشهد باعتداله، وإنصافه، واتباعه لمنهج السلف"(٥٧).

ويؤيد هذا الرأي أعلامٌ كبارٌ من علماء عصر ابن عزوز كعلامة الشام القاسمي، وعلامة العراق الآلوسي(٥٨)، وكذلك الشيخ عبدالحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء في الجزائر(٥٩)، والشيخ الطيب العقبي عضو جمعية العلماء في الجزائر(٦٠).

وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على دلائل رجوعه إلى عقيدة السلف.

المسألة الثانية: القول بإنكار رجوعه إلى عقيدة السلف

إذا كان قد وُجِدَ من يثبت رجوع الشـيخ ابن عزوز عن عقيدته الأولى فقد وُجِدَ من ينكر ذلك تماماً، يقول الدكتور نور الدين أبو لحية في معرض عرضه للآراء حول رجوع الشيخ ابن عزوز عن عقيدته الأولى: "يذكر باحثو الطريقة الرحمانية أنه كان صوفياً رحمانياً، وأنه ظل على هذا طول حياته، ومما يدل على هذا كتابه (الســـيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني) يرد فيه على من أنكر كرامات الشيخ الشهير عبدالقادر الجيلاني، وما نسب إليه من خرافات.

وقد تهجم فيه على دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب، وجوَّز الاستغاثة بالأموات"(٦١).

---

(٥٦) انظر بحثه الموسوم (الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية) في مجلة الإصلاح العدد ١٢ نوفمبر٢٠٠٨م، ص٥٦-٨٤.

(٥٧) العقيدة الإسلامية لابن عزوز شرح مجد مكي ص٣٤ .

(٥٨) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠١-١٢٣.

(٥٩) انظر مجلة الشهاب، الجزء الأول، المجلد الثالث عشر، محرم عام ١٣٥٦هـ، ٢، وانظر مجلة البصائر العدد ١٩٥، ٩صفر ١٣٥٨هـ.

(٦٠) انظر مجلة البصائر العدد ١٩٥، ٩صفر ١٣٥٨هـ.

(٦١) انظر جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية ص٥٤.

ثم ساق أقوالاً من هذا القبيل مما يورده من يَعْضُدُ الرأي القائل بإنكار رجوعه عن عقيدته الأولى، كإيرادهم لمنظومة ابن عزوز التي سماها (وسيلة الأمان في مناقب الشيخ عثمان) والتي يقول مطلعها:

مـا دامـت الأشـراف في الـدنيا تـرى ... حمـــداً لباســط الأنام في الـــورى

والتي تشتمل على مبالغات، وتجويز للاستغاثة بغير الله(٦٢).

هذا وإن هناك مقالاتٍ متأخرةً تنتشر عبر الشبكة العالمية دون أن تُمْهَرَ بأسماء أشخاص، وإنما هي مقالات تشكك في رجوع الشيخ ابن عزوز عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف، وتعلل بتعليلات يرى أصحابها أنها كفيلة برد دعوى رجوعه إلى عقيدة السلف.

وأهم ما جاء في ذلك مقالان: الأول منهما: جاء بعنوان: (الرد على الوهابي الضال البشير بن حسن في زعمه أن العلامة محمد المكي بن عزوز التونسي موافق له في عقيدته)(٦٣).

وتحت هذا العنوان ابتدأ الكاتب المجهول بالرد على من سماه الوهابي الضال البشير بن حسن، وذكر في أول رده نبذةً يسيرةً عن ابن عزوز، ومشايخه، وبعض آثاره.

ثم قال موضحاً أن الشيخ ابن عزوز كان على عقيدته الأولى: "ومن أول مؤلفاته (السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني) رد فيه على من أنكر كرامات الشيخ الشهير عبدالقادر الجيلاني، وعمل فيه باباً في جواز الاستغاثة بالأولياء(٦٤)، وبيَّن فيه –كذلك– ضلالات دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب"(٦٥).

ثم قال: "بعد انتقاله –يعني الشيخ ابن عزوز– من تونس إلى الآستانة ألف رسالة (النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية) وهو من آخر مؤلفاته.

---

(٦٢) انظر المرجع السابق ص٥٤.

(٦٣) وقد جاء في أعلى عنوان ذلك المقال ما نصه: (نشر جامعة الزيتونة – منار الإسلام).

(٦٤) يشير إلى ما في الكتاب المذكور. انظر السيف الرباني –ضمن رسائل ابن عزوز– ص١٧٦.

(٦٥) مقال الرد على الوهابي الضال البشير بن حسن ص١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وهذا فيه ردٌّ كافٍ على أدعياء السلفية من أن الشيخ ترك ما كان عليه، ودخل في مذهبهم الفاسد بعد أن راسله الآلوسي سنة ١٣١٣هـ؛ فلو كانت أحوال الشيخ تغيرت لما ألف الرسالة المذكورة"(٦٦).

ثم أورد دليلاً على ما يزعمه وهو قوله: "من أشهر تلاميذه محمد الخضر بن الحسين الأشعري، وهو ابن أخته"(٦٧)،ثم أورد شبهة يؤيد بها كلامه، وهي قوله: "أما قوله في نفس الكتاب(٦٨): (س–هل يفسر استوى في آية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؟.

ج– لا يفسر، وهو تفسير المعطلة كالمعتزلة، ولا يستقيم).

فالجواب أن الشيخ ههنا ما فسر الاستواء بعلو المكان، والجهة كما ذهب في تفسيرها الوهابي البشير بن حسن، وإنما أنكر تفسير الاستواء بالاستيلاء.

وكلامه(٦٩) فيه نظر؛ لأن العبرة بإصابة الحق"(٧٠).

فهذا حاصل ما قرره ذلك الكاتب المجهول في إنكاره رجوع الشيخ ابن عزوز إلى عقيدة السلف.

المقال الثاني: وهو عبارة عن سؤال موجه، وهذا نصه: (السؤال: المكي بن عزوز كان أشعرياً صوفياً قبورياً، فصار سلفياً، هكذا قالوا؛ فما هو ردكم عليهم؟).

فكان الجواب من مجهول لم يذكر اسمه، وذلك الجواب يتضمن بعض ما ورد في المقال الأول، ومما جاء فيه قوله: "لقد اطلعت على كلام الجاهلين، ورأيتهم بنوا كلامهم هذا على أمرين: الأول: أن ابن عزوز نصر القبض في الصلاة، وقرر أنه مذهب مالك.

---

(٦٦) المرجع السابق ص١.

(٦٧) المرجع السابق ص٢.

(٦٨) يعني قول ابن عزوز في كتابه: (عقيدة الإسلام – ضمن رسائل ابن عزوز–) ص٨٠.

(٦٩) يعني كلام ابن عزوز.

(٧٠) الرد على الوهابي الضال البشير بن حسن ص٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الثاني: أنه عمل رسالة في التوحيد أثبت فيها الاستواء، ومنع تأويله بالاستيلاء.

ولا أدري كيف استنبطوا من هذا بمجرده أن ابن عزوز صار وهابياً، ولا أدري أين الوهابية في هذا"(٧١).

ثم تكلم على الاجتهاد في بعض المسائل العلمية، وترجيح بعض العلماء ما يراه، وخَطَّأ ابن عزوز في مسألة القبض في الصلاة، وبيَّن أن خطأه في اجتهاده خطأ واحد مغفور مغمور لا يقلل من شأنه، ولا يخرجه من المذهب(٧٢).

ثم تكلم على عمل ابن عزوز في رسالة التوحيد، وأنه منع فيها تأويل الاستواء بالاستيلاء، وأوضح أن هذا ليس بجديد، بل سبقه إليه أئمة أشاعرة كبار منهم الأشعري، والباقلاني، وأنهم أبوا هذا التأويل(٧٣).

ثم قال بعد ذلك: "فمن تصور أن القول بتأويلٍ مُعَيَّنٍ أو رَدِّه يعد دليلاً على هجر مذهب أهل السنةَ(٧٤) فَحَقُّه أن يدع الدواة والقلم، ويرعى مع الخرفان والغنم" (٧٥).

ثم عقب على ذلك بقوله: "ولهذا كله لا يُعَدُّ هذا الذي بنوا عليه وهابية ابن عزوز إلا بناءً على شفا جرف هارٍ، وابن عزوز مصنفاته في التصوف معروفة؛ فإن قالوا: تاب عنها، قلنا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، ودلونا أين قال ابن عزوز تُبْتُ عنها، ورجعتُ، وغسلْتُها، أو أحرقت، أو اغسلوها، أو أحرقوها، وأتلفوها، ولا تأخذوا بما فيها"(٧٦).

ثم أضاف قائلاً: "وابن عزوز توفي سنة ١٣٣٤هـ، وقد صح أنه ألف في أواخر سني حياته كتاباً في الطريقة الصوفية الخلوتية، ورجالها(٧٧)؛ فكيف يحصل هذا من متوهب يا معشر العقلاء؟

---

(٧١) هل صار ابن عزوز وهابياً ص٢.

(٧٢) انظر المرجع السابق ص٢.

(٧٣) انظر المرجع السابق ص٢.

(٧٤) يعني بأهل السنةِ: الأشاعرة.

(٧٥) هل صار ابن عزوز وهَّابيًّا، ص٢-٣.

(٧٦) المرجع السابق ص٣.

(٧٧) يعني به كتاب: (النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية) الذي طبع عام ١٣٢٧هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وأما الذي أنا على يقينٍ منه فهو أن ابن عزوز إلى سـنة ١٣٣١هـ كان على ما كان عليه من لزوم طريقة أهل السـنة، وأخذه بشؤون أهل التصوف؛ فمن عنده دليل أن ابن عزوز كتب شيئاً بعد ١٣٣١هـ خالف به السنة فليئتنا به إن استطاع"(٧٨).

فهذه الاعتراضات هي أهم ما ورد في ذلك المقال الذي ختم صاحبه كلامه بقوله: "فانظر الآن هل هذا وهابي عندهم مستحق في مذهبهم التكفيري باسم السلفية العاطلة؟

أم هو ابن عزوز الذي عرفه الناس والعلماء، وأصحابه منذ نشأته؟"(٧٩).

فهذا هو حاصل كلام ذلك المجيب المجهول(٨٠)؛ حيث يرى أن ابن عزوز باقٍ على ما كان عليه منذ أول أمره إلى أن توفاه الله.

وبهذا ينتهي الكلام على حجج المنكرين لأن يكون ابن عزوز رجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف الصالح.

---

(٧٨) هل صار ابن عزوز وهابياً ص٣.

(٧٩) المرجع السابق ص٤.

(٨٠) ولا يبعد أن يكون هذا المجيب هو نفسه كاتب المقال السابق المجهول.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المبحث الثاني: مناقشة الأقوال في رجوعه إلى عقيدة السلف

مدخل: مناقشة مجملة للأقوال

مر في المطلب الماضـي تفصـيل الأقوال في رجوع الشـيخ المكي بن عزوز إلى عقيدة السـلف، وأنها تنحصـر في ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صوفيًّا خرافيًّا أشعريًّا طيلة عمره.

الثاني: أنه كان كذلك، ثم رجع إلى عقيدة السلف[٨١].

الثالث: أنه كان موافقاً للسلف الصالح في تقريراته العقدية دون تفصيل وإيضاح لما كان عليه في سالف أمره[٨٢].

وهذا القول الأخير أيسر شأناً؛ لأن من قال به إنما نظر إلى ما آل إليه أمر الشيخ فيما بعد؛ فكأنه تابع للقول الثاني؛ فالشأن –إذاً– إنما هو في القولين الأولين.

وقبل الدخول في مناقشة تلك الأقوال يحسن التنبيه على عدة أمور بشأن رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، وهي كما يلي:

١– أن بعض من تكلموا على ابن عزوز في تلك المسـألة لم يراعوا عامل الزمان والمكان؛ من ناحية حياته الأولى في تونس، ثم هجرته إلى الآستانة عام ١٣١٦هـ.

٢– عُرُوُّ كثيرٍ من تلك الأحكام في هذه المسألة من العدل، والإنصاف، والتحري، وبناؤها على التعصب، أو العاطفة.

٣– التعامي عن الحقيقة في تلك المسـألة، وذلك ناتج عن التعسُّـف، وقلةِ الاسـتقصـاءِ، وتركِ النظرِ إلى هذه المسـألة من جميع الجوانب، أو الخوفِ من تزلزل العقائد الباطلة في نفوس الأتباع إذا رأوا ما عليه أكابرهم من الرجوع إلى الحق.

---

(٨١) انظر جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية ص٥٣-٥٦.

(٨٢) الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٨٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وبعد هذا يقال: إن الشيخ من أول نشأته، ومراحل تعليمه وتربيته في تونس إلى أن صار من أكابر العلماء، وبلغ ستاً وأربعين سنة من عمره –كان على عقيدته الأولى، وأنه كان متمسكاً بها، منافحاً عنها، متبعاً لرسومها، دون أن يتزحزح عنها.

وهذا محل اتفاق بين جميع من ترجموا له، ثم لما رحل إلى الآستانة عام ١٣١٦هـ بعد بلوغه السادسة والأربعين من عمره – حصل الخلاف في شأنه: هل استمر على ما كان عليه؟أو أنه رجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف؟ فهذا هو محل النزاع–كما مر–[٨٣].

والناظر في سيرة الشيخ، وأقواله، وأطوار حياته، وما قيل عنه بعدل، وإنصاف، وشمولية– يلحظ أنه كان أشعرياً صوفياً رحمانياً خلوتياً، مالكياً متعصباً.

ثم بدأ بعد هجرته إلى الآستانة بالبحث والتقصي، والتحري حتى رجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف.

ولا يُعَكِّر على ذلك ما بقي فيه من شوائب عقيدته الأولى شأنه شأنُ كثير من المتكلمين وغيرهم ممن رجعوا إلى عقيدة السلف في آخر أمرهم كأبي الحسن الأشعري[٨٤]، وغيره؛ فهذا هو حاصل الكلام في شأن رجوعه إلى عقيدة السلف بإجمال شديد.

أما تفصيل ذلك، ومناقشة الأقوال فيه فسيكون من خلال المطلبين التاليين، وإن كان النقاش مع القائلين بالإنكار أوسع، وأشمل؛ حيث سيدور النقاش –في أغلبه– على ما اعْتَرَضَ واحتج به من يقول بإنكار رجوعه إلى عقيدة السلف.

ونظراً لكون تلك الاعتراضات ليست على وتيرة واحدة، ولأجل أن تنحصر المناقشة في الأهم فالمهم– جاء المطلب الأول في مناقشة الاعتراضات الأساسية، والمطلب الثاني في مناقشة الاعتراضات الفرعية؛ فإلى تفصيل ذلك.

---

(٨٣) انظر تفصيل ذلك في المبحث الماضي.

(٨٤) انظر تفصيل سيرته، وأطواره في تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، حققه، وضبط نصَّه، وعلق عليه د. بشار عواد معروف، ١٣/٢٦٠–٢٦١، وتاريخ الفلسفة الإسلامية هنري كوربان، ترجمة نصير مروة، وحسن قبيس، ص١٨٠–١٨٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المطلب الأول: مناقشة الاعتراضات الأساسية

وتكاد هذه الاعتراضات تنحصر في مسألتين:

المسألة الأولى: مناقشة الاعتراض بتجويزه الاستغاثة بالأولياء

فمما أيد به المنكرون لرجوعه إلى عقيدة السلف أنهم استدلوا على ذلك بأنه عقد باباً في كتابه (السيف الرباني) في (جواز الاستغاثة بالأولياء) [٨٥].

والحقيقة أن الاحتجاج بهذا الاعتراض، والاستدلال به على بقائه على عقيدته الأولى وعدم رجوعه عنها – ليس في محله، إذ هو قصور، وتقصير، بل هو تجاهل وتدليس؛ حيث أغفل أولئك المعترضون الأطوارَ التي عاشها الشيخ ابن عزوز .

وهذا الاعتراض الذي أورده من ينكر رجوعه إلى عقيدة السلف إنما كان إبَّان طور ابن عزوز الأول في تونس، وقبل هجرته إلى الآستانة بست سنوات؛ فكتاب (السيف الرباني) كتبه عام ١٣١٠هـ، وهجرته كانت عام ١٣١٦هـ.

وفي تلك الهجرة تحرر من آصار التقليد التي كان يأخذ بها.

وإذا كان قد قرر ما قرر من جواز الاستغاثة بالأولياء، وإثبات استغاثتهم[٨٦] في طوره الأول – فقد قرر خلافه تماماً في طوره الثاني؛ والعبرة إنما تكون فيما انتهى إليه الإنسان لا بما بدأ به؛ فقوله الأخير هو المعتبر خصوصاً في مسائل الاعتقاد.

وهذا ما قرره ابن عزوز، وصَرَّح به في أكثر من مناسبة، ومن ذلك ما جاء في رسالته الطويلة إلى علامة الشام الشيخ عبدالرزاق البيطار؛ حيث قال: "وما أشرتم في مكتوبكم من السير على منهاج الكتاب والسنة، وعقيدة السلف – فأنفث نفثة مصدور، مغتم القلب بما يرى ويسمع من قلب حقائق الأمور"[٨٧].

---

(٨٥) انظر السيف الرباني – ضمن رسائل ابن عزوز – ص١٧٦.

(٨٦) انظر المرجع السابق ص١٧٦.

(٨٧) الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ثم يذكر سبب ذلك الغَمّ فيقول: "أنتم من الله عليكم بجلساء موافقين لمشربكم في التماس الحقائق، والتزام أقوم الطرائق؛ ذوق وإنصاف، واتصاف بأجمل الأوصاف"(٨٨).

ثم تطرق إلى حاله في الآستانة، وأنه لا يلقى من يطارحه مسائل العلم الصحيح، وأوضح أن أهل العناد الحمقى يضللون من خالف ما اعتادوه(٨٩).

ثم ضرب لذلك مثالاً –وهو الشاهد ههنا– فقال: "سئلت مرةً في مجلس: هل تجوز الاستغاثة بأولياء الله؟ فقلت: لا يستغاث إلا بالله.

وفي المجلس شيخ كبير ممن يعاني تدريس العلم عارضني بأنه يجوز؛ فقلت له: ما دليلك؟ فقام مُغضباً قائلاً وهو ذاهب: دليلي قول اللقاني(٩٠):

وأَثْبِتَنْ للأوليا الكرامهْ ومن نفاها فانبذَنْ كلامهْ(٩١)

ثم عقب الشيخ المكي بن عزوز على ذلك فقال: "فانظر الدليل، وتنزيله على الاعتراض؛ هؤلاء لا يفرقون بين معنى الاستغاثة، ومعنى الكرامة، وهو من الضروريات"(٩٢).

فهذا نص صريح يقرر فيه الشيخ ابن عزوز تحريم الاستغاثة بغير الله، وينسخ ما قرره سالفاً في كتابه (السيف الرباني).

---

(٨٨) المرجع السابق ص١٠٧.

(٨٩) المرجع السابق ص١٠٨.

(٩٠) يقصد به إبراهيم اللقاني المالكي ت١٠٤١هـ، والبيت المذكور من منظومته (جوهرة التوحيد) التي شرحها عدد من الشُّراح. انظر جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري حققه، وعلق عيه د. مصطفى البغا.

(٩١) الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

(٩٢) الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب من الشيخ ابن عزوز إلى بعض أحبابه في مدينة (بسكرة) الجزائرية تتضمن الجواب عن مسائل يكثر فيها الأخذ والرد.

وفي هذا الجواب تصريح برجوعه عما كان عليه من سالف أمره، مؤرخاً باليوم، والشهر، والعام؛ حيث افتتح الشيخ المكي كتابه بقوله: "الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، كتب يوم الخميس ١٥ في رجب عام ١٣٣١هـ من الآستانة العلية إلى أخينا الفاضل سيدي البشير بن سعد – بشَّره الله برضاه يوم لقاه آمين.

سألتموني عن مسائل تحيرتم فيها؛ حيث إن بعض الطلبة أتوكم من مصر، وأنكرتم ذلك؛ فأنا أخبركم –إن شاء الله– بالحقيقة التي لا تسألون عنها أحداً بعدي..." [(٩٣)].

ثم قال: "وعند علماء بلادنا المغربية، والتونسية، والجزائرية أمور كثيرة مخالفة للسنة، ومصادمة للدين، ولا يشعرون بها، قال الله –تعالى–: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] ولنتكلم الآن في المسائل التي سألتم عنها"[(٩٤)].

ثم بدأ بالكلام على زيارة قبور الأولياء، ودعائهم من دون الله، فقال: "أما زيارة قبور الأولياء فالآفة الكبرى التي يعملها العامة، وهو قولهم لصاحب القبر: يا سيدي اشفني، واغفر لي، وأغثني، وأعطني الذرية، وأعطني القرآن، والعلم، ونحو ذلك.

هذه المطالب دعاء لا يجوز طلبها إلا من الله؛ فتنبهوا لذلك"[(٩٥)].

فهذا صريح كلامه، وفيه أبلغ الرد على من قال: إن ابن عزوز كان على ما كان عليه، وأن من عنده دليلٌ على أنه كتب شيئًا بعد ١٣٣١هـ فليئتنا به.

---

(٩٣) مجلة البصائر الجزائرية عدد٦٨، ١٠ ربيع الأنور، ١٣٥٦هـ، ص١.

(٩٤) المرجع السابق ص١.

(٩٥) المرجع السابق ص١، وانظر الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وبهذا يتبين بطلان ما احتج به من اعترض على أن ابن عزوز لم يرجع عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف بكونه عقد في كتابه (السيف الرباني) باباً في جواز الاستغاثة بالأولياء.

المسألة الثانية: مناقشة الاعتراض بذمه للوهابية

والمقصود من ذلك مناقشة من أنكر رجوع الشيخ ابن عزوز إلى عقيدة السلف بحجة أنه قد ذمَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وحكم عليها بالضلال.

ويقال ههنا ما قيل في المسألة الأولى من جهة أن ذلك تجاهل، وتدليس؛ لكون المعترض تعامى عن الفترة التي ذم فيها ابن عزوز دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهي أيام طوره الأول في تونس إبَّان إصدارِه كتابَه (السيف الرباني) الذي ألفه عام ١٣١٠هـ[٩٦]؛ فالشيخ ابن عزوز لما كان في تونس لم يكن عالماً بحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإنما كان مغتراً بما قاله عنها مناوؤها خصوصاً الشيخ أحمد زيني دحلان الذي أجاز ابنَ عزوز، وكان محلَّ ثقته؛ فلم يكن ذلك الذم من ابن عزوز لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على سبيل التحقيق، وإنما كان على سبيل التقليد والثقة بالذامِّ، وذلك قبل هجرته المشرقية عام ١٣١٦هـ.

ولهذا أشار الآلوسي إلى أن ابن عزوز حكم بضلال دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثقةً بما كتبه أحمد زيني دحلان، ومعلوم أن أحمد دحلان من أشد المناوئين لتلك الدعوة -كما مر- [٩٧].

ويقال لمن استدل بذلك الذم على بقاء ابن عزوز على عقيدته الأولى: هل استمر ابن عزوز على ذلك الذم؟ وهل كانت تلك هي نَظْرَتَهُ إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى بعد هجرته عام ١٣١٦هـ حتى يقال إن ابن عزوز لم يرجع إلى عقيدة السلف؟

---

(٩٦) انظر السيف الرباني -ضمن رسائل ابن عزوز- ص١٧٦.

(٩٧) انظر الرسائل المتبادلة ص١١٤.

وقبل الجواب عن ذلك يقال: إن ذم عقيدة السلف لا يصدر إلا من جاهل بحقيقتها، أو معادٍ لما هي عليه من الاتباع وتركُ الابتداعِ، والسلفية -منهجاً وعقيدةً- تعني اتباع السلف الصالح، وهي ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه.

والمنتسبون إليها ليسوا سواءً؛ فمن كان أقرب إلى المشرب الأول فهو أقرب إلى الحق، ومن كان أبعد عنه كان بعده عن السلفية بقدر مخالفته.

ثم إن السلفية لا تتحمل تبعةَ مَنْ ينتسب إليها؛ شأنها في ذلك شأن الإسلام؛ فالإسلام لا يتحمل أوزار المنتسبين إليه، وإنما التبعة تقع على من تنكب صراطه المستقيم.

ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- جاءت مجددة لما كان عليه السلف الصالح، مقتفية آثارهم من جهة لزوم الاتباع، والتحذير من الابتداع.

وهي ومن انتسب إليها ليسوا بمعصومين عن الخطأ، وليسوا بمنأى عن النقد والاعتراض، ولم يَدَّعِ أحدٌ من أئمتها ذلك، ولا ينبغي له؛ فكل يؤخذ من قوله ويرد.

وإنما الشأن في الافتراء عليهم، وتخطئتهم فيما أصابوا فيه.

والكلام ههنا ليس موضع الرد على من ناوأ تلك الدعوة، وإنما هو في شأن ابن عزوز، ورجوعه إلى عقيدة السلف، ونظرته إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٩٨).

وبعد هذا يقال جواباً عن السؤال السابق: إن كلام ابن عزوز المتأخر في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينسخ ما قاله في أول أمره.

ويوضح ذلك بجلاء ما جاء في رسالته التي كتبها بخطه إلى الشيخ عبدالرزاق البيطار.

(٩٨) انظر تفصيل ذلك في الكتب التي ناقشت دعاوى المفترين على تلك الدعوة، مثل صيانة الإنسان للسهواني.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ومما جاء فيها مما يخص هذه المسألة قوله: "كتبت إلى حبيب لي في المدينة المنورة ما نصه: سؤال خصوصي: أخبرني بإنصاف، واعْلَمْ أنك مسؤول في عرصات القيامة عن ذلك؛ أخبرني عن الوهابية الذين ترون: معاملاتهم، وحالهم مع السنة، والحضرة النبوية؛ فأنا الآن ما اجتمعت بوهابي، وقد تناقضت عندي المسموعات بالأذن، والمرئيات في الكتب بالأعين"(٩٩).

ثم شرع في بيان ذلك، فقال: "وبيان التناقض نقرره لك يا حبيب؛ لتعرف كيف تجيبني، فإن المقام خطير؛ بعض الناس يقولون: الوهابية يُحقِّرون المقام النبوي، ولا يرون فرقاً بينه وبين بقعة خالية من الأرض، ويقولون لمن شرب الدخان: أشركت بالله، وهذا لا معنى له.

ويضللون من أثنى على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على المنارة، ويكَفِّرُون من زار قبراً، ودعا الله عنده، ويستحلون دمه"(١٠٠).

ثم يبين كيف حصل عنده التناقض، فيقول: "وهؤلاء القادحون فيهم يقولون على سبيل القدح: هم تابعون ابن تيمية أحمد تقي الدين؛ فهنا جاء التناقض؛ فابن تيمية إمام في السنة كبير، وطود عظيم من أطواد العرفان حافظ للسنة النبوية ومذهب السلف، يذب عن الدين، ويقمع المارقين كالمعتزلة، والقدرية، والرافضة، والجهمية، ما فارق سبيل الصحابة، والتابعين، والأئمة الأربعة قِيدَ أنملة، وإن كان حنبليًّا في الفروع فهو في أصول الدين جامع لمذاهب الأربعة الأئمة، والأربعة الخلفاء، وسلك سبيلهم"(١٠١).

ثم يعقب على هذا الكلام بقوله: "فإذا كان الوهابية –حقيقةً–على منهج ابن تيمية وابن القيم ونحوهما من فقهاء الحنابلة السنية–فهم أسعد الناس بالشريعة؛ لأن ابن تيمية وأصحابه لم يسئ القولَ فيهم إلا القاصرون عن درجاتهم علماً وتحقيقاً.

والراسخون في العلم شهدوا بعلوِّ مكانتهم.

---

(٩٩) الرسائل المتبادلة ص١٠٤.

(١٠٠) الرسائل المتبادلة ص١٠٤، ولا ريب أن ذلك كلَّه محض افتراء وكذب، وفساده يغني عن إفساده.

(١٠١) الرسائل المتبادلة ص١٠٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وإن كان الوهابية متصفين بالصفات الذميمةِ المشارِ إليها أولاً فأول خصم لهم ابن تيمية ونظراؤه من الحنابلة؛ فليسوا بتابعيهم"[١٠٢].

ثم ينتقل بعد هذا الإلزام إلى بعض ما قيل عن الوهابية من الثناء، فيقول: "وبعض الناس يقول: الوهابية هم القائمون بالسنة، المجتنبون للبدع، المتبعون للحديث الشريف، وعلى مذهب أحمد بن حنبل، وطريقة السلف في الاعتقاد"[١٠٣].

ثم يذكر ما قرأه عنهم، وعن نَفْيِهم ما يلصق بهم من تهم باطلة، فيقول: "وقد كنت طالعت الرسائل المؤلفة عن محمد بن عبدالوهاب وأصحابه، ورأيت ما كتبه الجبرتي[١٠٤] في تاريخه من عقائدهم، وسيرتهم؛ فما هي إلا طريق السنة ليس فيها ما ينكر، ورأيت رسائل القادحين فيهم ينسبون لهم الدواهي والعظائمِ، والوهابية ينفون ذلك عن أنفسهم، لا يحتجون لحسن تلك القبائح"[١٠٥].

ثم يلفت نظر الـمُرْسَل إليه إلى فرق دقيق يتبين به الحق من الباطل فيما ينسب من الأقوال، فيقول: "تَنَبَّه للفرق بين قول المتنصِّل مما نسب إليه وقولِ محسِّن ما نسب إليه؛ فالأول منسلخٌ من اعتقادِ ذلك وفعلِهِ، معترفٌ بقبحِهِ، مكذِّبٌ لمن وصفه به، والثاني معترف باتصافه؛ تأمل هذه النقطة، وفي الحقيقة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤]"[١٠٦].

وبعد أن قرر ما قرر، وسأل ما سأل عن الوهابية، وما قيل فيها انتقل إلى الوهابية في عصره، فقال موجهاً الحديث لمن أرسل إليه الكتاب: "فأنا أسألك عن الوهابية الحاضرين في عصرنا؛ فإن رجلاً أخبرني أنهم يكونون مقيمين في المدينة، ويأتون إلى

---

(١٠٢) الرسائل المتبادلة ص١٠٥.

(١٠٣) الرسائل المتبادلة ص١٠٥.

(١٠٤) هو المؤرخ المشهور المنصف عبدالرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي صاحب (كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار) الذي يعد من أهم كتب التاريخ في القرن الثاني والثالث عشر الهجريين. انظر كتابه الآنف الذكر ط دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

(١٠٥) الرسائل المتبادلة ص١٠٥.

(١٠٦) المرجع السابق ص١٠٥-١٠٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المسجد، ولا يقفون على القبر الشريف يسلمون عليه وعلى الصاحبين ونحو ذلك؛ فإن صح هذا فما أشبه هذا الجفاء بالعداوة لصاحب القبر الشريف"(١٠٧).

ولا ريب أن هذا الكلام محض افتراء، بل العكس هو الصحيح.

ثم طلب –رحمه الله– من المرْسَـــل إليه طلباً قال فيه: "فأريد منك أن تجتمع بفلان وفلان في محل لا رابع لكم إلا الله؛ فإن زدتم آخر تعرفونه مثلكم فيما ألاحظه منكم فذلك عُهْدَتُهُ عليكم، وتقرأون كتابي هذا بتأمل، وتجيبوني بما تَحَصَّـل لكم، ذاكرين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]"(١٠٨).

ثم قال بعد ذلك متوجعاً: "واعلموا أن من البلايا المتسلطة على الدين أنه صار الذي يصدع بالحديث النبوي الصحيح، مقدماً له على عصارة المتفقهين يقال له: أنت وهابي"(١٠٩).

وذكر حادثة جرت له من هذا القبيل، وهي قوله: "وأحكي لكم لطيفة: كنت ســـألت بعض متفقهة مكة الحنفية عن رجل أعرفه من أكبر الفضلاء قلت له: كيف حال فلان؟ فقال لي: ذلك وهابي، فقلت له: وكيف وهابي؟ فقال: يتبع البخاري!

فلما حكيتها للســيد عبدالرحمن الجزولي عليه الرحمة والرضــوان وأنا نزيل عنده إذ ذاك– ضــحك، وقال: هل البخاري شــيخ الوهابية؟"(١١٠).

ثم عقب ابن عزوز على ذلك بقوله: "وقد سمعت كثيراً من الناس يقولون: من يتبع الحديث فهو وهابي، ومن يعتقد عقيدة السـلف فهو وهابي؛ فقلت لهم: أنا لا أعرف الوهابية، وكلامهم يدل على أنهم سُـنِّيون صـرفاً؛ فقد مدحتموهم مدحاً كبيراً من

(١٠٧) المرجع السابق ص١٠٦.

(١٠٨) الرسائل المتبادلة ص١٠٦.

(١٠٩) المرجع السابق ص١٠٦.

(١١٠) المرجع السابق ص١٠٦.

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

حيث قدحتم فيهم؛ نتمنى أن يكون مقلدة المذاهب كلهم هكذا إن كنتم صـــادقين فيما تقولون، لكن الجاهل يهرف بما لا يعرف، ولذلك يقال لهم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٥]"[١١١].

ثم ختم كلامه مشـدداً على التثبت والتحري، فقال: "وليكن جوابكم بما شـاهدتموه لا بما ينقله المغفلون، والأعداء المتعصـبون، هدانا الله وإياكم للقول السديد"[١١٢].

فهذا كلام ابن عزوز المتأخر في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعها، وهو واضـح صريح لا غمغمة فيه ولا غموض، ولا يحتاج إلى مزيد إيضـاح؛ فهل يقال بعد ذلك: إن ابن عزوز لم يرجع عن قوله الأول في الوهابية؟ وهل يقال –بناءً على ذلك–: إنه لم يرجع عن عقيدته الأولى؟ وكيف يقبل كلامه الأول الذي أطلقه –باعترافه– دون تمحيص وتحقيق، ولا يقبل كلامه الأخير الذي هو نتيجة بحث، وتحرٍّ، وسؤال، وقراءة دقيقة؟!

لا ريب أن الإنصاف يقتضي القول برجوعه عما كان عليه آنفاً، وأن ما عدا ذلك لا قيمة له في ميزان البحث العلمي.

المطلب الثاني: مناقشة الاعتراضات الفرعية

المسألة الأولى: مناقشة الاعتراض بكونه أَلَّفَ رسالة في رجال الطريقة الخلوتية

والمقصود بذلك: رسالته المعنونة بـ: (النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية).

ووجه الاعتراض أن تلك الرسالة كانت من أواخر مؤلفاته، وأنه ألفها بعد رحلته المشرقية.

والمعترض على رجوعه إلى عقيدة الســـلف يرى أن تأليفه لتلك الرســـالة كافٍ في الرد على من زعم أنه ترك ما كان عليه أول أمره[١١٣].

---

(١١١) المرجع السابق ص١٠٦–١٠٧.

(١١٢) المرجع السابق ص١٠٧.

(١١٣) انظر الرد على الوهابي الضال البشير بن حسن ص١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

والرد على هذا الاعتراض من وجوه:

أولها: أن بقاء شيء مما كان عليه سالفاً لا ينفي رجوعه إلى عقيدة السلف؛ فالعبرة بكثرة الصواب، والموافقة لما كان عليه السلف الصالح، وهذا ما كان عليه ابن عزوز -رحمه الله-.

ومثل ذلك يقع لكثير من علماء الكلام وغيرهم، مع أن ابن عزوز أقرب إلى السنة من كثير من أولئك.

الثاني: أنه في تلك الرسالة يختلف كثيراً عما قرره في أول حياته، وذلك كما في كتاب (السيف الرباني)على سبيل المثال؛ فرسالته (النفحات الرحمانية) لا يوجد منها إلا بعضها، قال محققها حفيده علي الرضا التونسي الحسيني: "لم أعثرُ إلا على وريقات قليلة من هذا الكتاب هي مقدمة المؤلف والمدخل إلى البحث، وقد طبعت في دار السعادة -استنبول- عام ١٣٢٧هـ بمطبعة روشن"(١١٤).

والموجود في هذه الرسالة يشتمل على أمور تُشعر بتراجعه عن كثير مما قرره في (السيف الرباني) كما سيتبين من خلال الوجوه التالية.

الثالث: ما يُلْحَظ من ثنائه على الطريقة فيما لزمت به الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله -بعد أن بيَّن أن المنتسبين لهذه الطريقة ليسوا على سنة واحدة من ناحية أن فيهم العالم، والجاهل، والصالح والطالح-: "ومع ذلك ما رأينا، ولا سمعنا عن أحد من مشايخها، ولا من مُقَدَّميها، ولا من نقبائها، ولا من مريديها – من يبيح مخالفة الشرع العزيز، أو يرخِّص في التساهل في الديانة، أو يدَّعي بلوغَ درجةٍ تُسقط التكليف، أو نحو ذلك من أنواع الضلال، أما نفس الوقوع في المخالفة فلا أزكي على الله أحداً.

ولكن كلامنا في الإضلال، واعتقاد جواز التساهل؛ فجميع رؤسائهم المقتدى بهم يأمرون أصحابهم وأتباعهم بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعظمون حرمات الله، ويغضبون على المخالف، ويهجرونه لله، ويحضُّون على التزام الكتاب والسنة"(١١٥).

---

(١١٤) النفحات الربانية في مناقب رجال الخلوتية – ضمن رسائل ابن عزوز- ص١١٥.

(١١٥) المرجع السابق ص١٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الرابع: حَضُّه المنتسبين إليها على لزوم الشرع؛ فذلك من مقاصده لتأليف تلك الرسالة، قال –رحمه الله– قبل خاتمة مقدمته لتلك الرسالة: "والمقصود بهذه المقدمة بيان التزام شيوخ الطريقة الكتاب والسنة؛ لِيَعْلَمَ النَّقادون نقاءها مما ينافي الشرع، وتحريضاً للمنتسبين إليها على متابعة السنة، ولا يتساهلوا في المخالفة، ولا يقولوا قول الجهلة: رأينا شيخنا يفعل، أو رآنا نفعل وما نهانا؛ فلا نعرف سنة ولا علماً إلا ما يقوله الشيخ، نعوذ بالله من الجهل المهلك"[١١٦].

ثم تابع ذلك التوجيه بقوله: "فالطريقة ليست هكذا، بل الأصل السؤال عن حكم الله ورسوله، وأما الشيخ فهو غير معصوم؛ يغلط، ويَذْهَل، ولا نقص فيه لذلك"[١١٧].

الخامس: خُلُوُّ هذه الرسالة –بما هو موجود منها– من التوسلات الشركية والبدع المغلَّظة، واشتمالها على ما يوافق الكتاب والسنة [١١٨].

السادس: كون الباعث له على تأليفها–كما أشار إلى ذلك في المقدمة– قضاء حق العرفان والترجمة لشيوخه الذين أخذ عنهم العلم، فذلك نوع وفاءٍ لهم؛ كِفاءَ ما تعلمه منهم[١١٩].

السابع: أن هذه الرسالة ليست مختصةً بالتصوف فحسب.

وقال – رحمه الله – موضحاً بعض مقاصده من تأليف تلك الرسالة: "وبالجملة فهذا كتاب متعلق بالتصوف من جهة، وبالتاريخ من جهة أخرى، يضيء بتحقيقات من السنة النبوية، وسيرة السلف الصالح، مُحَلَّىً بالآداب نظماً ونثراً، يلهج بالموعظة الحسنة، متضمناً لعلم الأخلاق وغير ذلك مما يستطيبه الذوق السليم"[١٢٠].

---

(١١٦) المرجع السابق ص١٢٩.

(١١٧) المرجع السابق ص١٢٩.

(١١٨) انظر المرجع السابق ص١١٦-١٣٦.

(١١٩) انظر المرجع السابق ص١٧٧.

(١٢٠) المرجع السابق ص١١٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الثامن: إرادته التنبيه على الخطأ في الطريقة؛ إذ كان ذلك من أعظم مقاصده؛ ولذلك قال في المقدمة: "وإذا عرضت مسألة وقع في فهمها غلط من شبهات المبتدعة، أو مخالفة السنة، أوضح الحق فيها غير متهيب"[١٢١].

ولا مرية في أن من أراد التنبيه على خطأٍ ما – يحتاج إلى مداراة، وحسنِ تأتٍّ، ولطف مدخلٍ، وتدرج في النصح؛ ليصل إلى مبتغاه؛ فكيف إذا كان ذلك النصح موجَّهاً لمن لهم عليه أيادٍ سالفةٌ، وديونٌ مستحقةٌ؟! لا شك أن حاجته إلى المداراة والتلطف والتدرج آكد.

فهذا مجمل ما احتوت عليه تلك الرسالة، وهو –كما تبين– لا ينهض بأن يكون حجة لمن يزعم أن ابن عزوز باقٍ على سيرته الأولى، ولم يرجع عنها إلى عقيدة السلف.

بل إنه يؤكد رجوعه خصوصاً إذا جُمِع ذلك إلى مؤكداتٍ أخرى لا تقبل التأويل.

المسألة الثانية: مناقشة الاعتراض على نَصْرِهِ القبضَ في الصلاة، ومَنْعِهِ تفسيرَ الاستواء بالاستيلاء

والمقصود من ذلك ما اعترض به بعض من أنكروا رجوعه إلى عقيدة السلف؛ حيث زعم ذلك المعترض أن بعض الجاهلين بَنَوا كَوْنَهُ صار سلفياً على أمرين:

أحدهما: نصرُهُ –أي ابن عزوز– القبضَ في الصلاة، وتقريره أن ذلك هو مذهب مالك.

والثاني: أنه عمل رسالة في التوحيد أثبت فيها الاستواء ومنع الاستيلاء[١٢٢].

قال هذا الزاعم: "ولا أدري كيف استنبطوا من هذا بمجرده أن ابن عزوز صار وهابيًّا، ولا أدري أين الوهابية في هذا؟!"[١٢٣].

---

(١٢١) المرجع السابق ص١١٩.

(١٢٢) انظر: هل صار ابن عزوز وهابياً ص١.

(١٢٣) المرجع السابق ص١.

والجواب عن ذلك أن يقال: إن هذين الأمرين ليسا هما الدليل الوحيد على رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف فحسب، ولم يُثْبِتْ من أثبت رجوعه؛ لكونه قال بذلك فحسب، وإنما هناك أدلة أخرى، مضت الإشارة إلى بعضها، وسيأتي باقيها عند الكلام على الدلائل على رجوعه إلى عقيدة السلف.

أما بالنسبة لهاتين المسألتين، وهما مسألة القبض، ومسألة الاستواء فسيكون الكلام عليهما من خلال ما يلي:

أولاً: مسألة القبض في الصلاة: وهذه المسألة مسألة فقهية يجري فيها الخلاف كما يجري في كثير من المسائل[١٢٤].

والشيخ المكي بن عزوز –رحمه الله– نشأ –كما هو معلوم– في بيئة مالكية، وفي تلك البيئة لم يكن القول بالقبض في الصلاة معمولاً به، بل كانوا يقررون أن الثابت عن مالك هو السدل، وكان ابن عزوز يرى هذا الرأي على سبيل التقليد.

ومن خلال نظره في الأدلة رأى أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك، وكتب في ذلك رسالة سماها: "هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الأمام مالك"[١٢٥].

وقد قدم لهذا الرسالة بمقدمة بيَّن فيها ما جاء من الوعيد الشديد في كتمان العلم، وأن تناقص السنن بين الناس، وتكاثر البدع لا يؤثر في صحة ما صح عن الشريعة، ولا يرفع ضعف ما ضعَّفه التفقه في دين الله[١٢٦]، ثم شرع بعد ذلك في أبواب تلك

---

(١٢٤) القول بالقبض في الصلاة هو القول الصحيح في المسألة، وهو ما دلت عليه الأدلة.

وقد ألَّف جمع من المالكية مؤلفات تقارب ثلاثين كتاباً سوى الأبحاث التابعة في الشروح، والمطولات.

وفيها تحقيق قول الإمام مالك بالقبض، وليس الإرسال، وأن من نَقَلَ عنه القول بالإرسال إنما غلط في فهم عبارة المدونة، وأن قوله يؤخذ مما صرح به في الموطأ. انظر تفصيل الكلام على تلك المسألة في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ٢٠١/١، وعقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، لجلال الدين عبدالله بن نجم بن شاس، دراسة وتحقيق د. حميد بن محمد لَحْمَرْ ٩٨/١، والتاج والإكليل لمختصر خليل، للمواق أبي محمد بن يوسف العبدري، مطبوع بهامش الجليل للخطاب، ٢٤٠/٢.

ورسالة ابن عزوز (هيئة الناسك) من أجمع وأروع ما كتب في ذلك؛ لما فيها من جودة التحرير، وحسن الإيراد للأقوال ومناقشتها، وترجيح ما يَعْضُدُهُ الدليل منها، وقد قرر فيها أن مالكاً لم يَقُل بالسدل مطلقاً، وإنما هو سوء فهم من بعض المالكية لقوله.

(١٢٥) انظر هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك –ضمن رسائل ابن عزوز–ص٣١–٧٢.

(١٢٦) انظر المرجع السابق ص٣٣–٣٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الرسالة التي رتبها على عشرة أبواب، وقال: "اعلم أن وضع اليد اليمنى على اليسرى عند الصدر أو تحته سُنَّةٌ محكمةٌ باتفاق المذاهب الأربعة وغيرهم، وإمامنا مالك من أولهم في ذلك نشراً وعلماً، وهو أسبق الأئمة إليها؛ لأنه نشأ في روضة الآثار النبوية، وفيها تربى منذ عرف اليمين من الشمال.

وهذا مختص بمالك لا مشارك له في ذلك"(١٢٧).

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل الكلام في هذه المسألة من خلال الأبواب العشرة التي بسط فيها الأقوال في هذه المسألة بسطاً يعز نظيره، ثم ختمها بقوله: "وقد تلخص من أقوال فقهاء المذاهب وأساطين الراسخين أن السدل بدعة، وأن وضع اليدين نحو الصدر في قيام الصلاة فريضة كانت أو نافلة ليس فيها إلا السنية(١٢٨)".

وقد انتهى من تحريرها –كما يقول– "لِسِتٍّ من شهر رمضان سنة عشرين وثلاثمائة وألف هجرية"(١٢٩).

ثم صار بعدها –كما ذكر عن نفسه– يصلي بالقبض(١٣٠).

فهذا هو حاصل هذه المسألة وهي من دلائل تركه للتعصب، وأخذه بالدليل، وتحرره من التقليد، ورجوعه إلى عقيدة السلف، وذلك بعد هجرته عام ١٣١٦هـ؛ إذ كان فيه قبل ذلك –كما يقول–: "رائحة استعداد، وشوق للدليل"(١٣١).

وليس ذلك أحد دليلين فحسب مما يستدل به من يقول بأنه رجع إلى عقيدة السلف.

وإنما هو واحد من أدلة كثيرة.

---

(١٢٧) المرجع السابق ص٣٥-٣٦.

(١٢٨) المرجع السابق ص٧١.

(١٢٩) المرجع السابق ص٧٢.

(١٣٠) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٩.

(١٣١) الشيخ محمد المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية ص١٥، وانظر شرح العقيدة الإسلامية ص٤٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ثانياً: مسألة منعه تفسير الاستواء بالاستيلاء: وحاصل هذه المسألة ما زعمه بعض من أنكروا رجوعه إلى عقيدة السلف؛ حيث زعم أن ابن عزوز عمل رسالة في التوحيد وأثبت فيها الاستواء، ومنع تأويله بالاستيلاء، ثم زعم أن بعض الجاهلين –بعد هذا– عَدُّوه وهابياً(١٣٢).

والجواب عن ذلك يتسنى بتوضيح رأي ابن عزوز في هذه المسألة، وهو أنه لما ألف رسالته (عقيدة الإسلام) جعلها على هيئة سؤال وجواب، وكان من ضمنها سؤال أورده، ثم أجاب عنه، وهو قوله: "س– هل يقال: الله كائن في كل مكان؟

ج– لا يقال؛ لأنه صورة القول بالحلول والاتحاد، وهو كفر؛ فالله –تعالى– مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه، وملائكته.

واستواؤه –تعالى– على العرش يجب الإيمان به دون تعرض لكيفيته كالسمع، والبصر، وسائر صفاته الثابتة بلسان الشرع.

وهذا الذي اتفق عليه الأئمة الأربعة، وغيرهم من أساطين السنة"(١٣٣).

وهذا الكلام صحيح موافق لما عليه أئمة السنة – كما قرر –.

ثم أورد السؤال التالي، وهو قوله: "س– هل يفسر استوى باستولى في آية: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]؟

ج– لا يجوز تفسيره باستولى، ولا بغيرها، و–أيضاً– لا يستقيم؛ لأن استواء الاستيلاء يكون بعد المنازعة، تعالى الله عن ذلك"(١٣٤).

وهذا الجواب فيه إجمال، وإشكال؛ فكون الاستواء لا يجوز أن يفسر بالاستيلاء صحيح؛ لأن تفسيره بالاستيلاء صرف للفظ عن ظاهره، وخلاف ما جاء عن السلف.

---

(١٣٢) انظر: هل صار ابن عزوز وهابياً ص٢.

(١٣٣) عقيدة الإسلام – ضمن رسائل ابن عزوز– ص٨٠.

(١٣٤) المرجع السابق ص٨٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

أما أن الاستواء لا يجوز تفسيره بغيرها — أي بغير استولى - فغير صحيح؛ لأن في ذلك تفويضاً للمعنى والكيفية، والذي يُفَوَّض هو الكيفية فحسب؛ لأن الله -عز وجل- أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى.

أما المعنى: فيفسر الاستواء بما فسره به السلف، حيث قالوا: إن معنى استواء الله على عرشه: عُلُوُّه، واستقراره عليه علوًّا، واستقراراً يليق بجلاله وعظمته، وأنه من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع(١٣٥).

فمعنى الاستواء -إذاً- معلوم، ويُفَسَّر الاستواء به، وأما المجهول فهو الكيف الذي لا يعلمه إلا الله؛ فالسلف إنما يفوضون حقائق الصفات الثابتة لله -تعالى- أما معانيها فَيَعْلَمُونها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديث له عن التأويل الذي هو بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام: "تأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول) (١٣٦).

فالاستواء معلوم يُعْلَمُ معناه، وتفسيره، ويترجم بلغة أخرى.

وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله"(١٣٧).

ومن هنا يتبين أن تفسير ابن عزوز للاستواء مجمل، ويحتاج إلى تفصيل على نحو ما ذكر؛ فلا وجه-إذاً- لقول المعترض: "كيف استنبطوا من هذا بمجرده أن ابن عزوز صار وهابياً".

---

(١٣٥) انظر الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق د. حمد التويجري، ص٢٠١، و٢٩١، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص٣٦-٣٧.

(١٣٦) انظر: الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية، د. عبدالرزاق البدر، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ١١١، السنة ٣٣ ، ١٤٢١هـ.

(١٣٧) الفتوى الحموية الكبرى ص٢٩١، وانظر تفصيل ذلك في درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ٦/١٩١-٢٦٧ و٢/٢٠-٢١ و٦/١١٥-١١٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥/٣١٠-٣١٤.

ثالثاً: الاستدلال بكون الشيخ محمد الخضر أشعريًّا، وهو ابن أخته[١٣٨]: حيث استدل المعترض على رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف بذلك.

والحقيقة أن هذا الاعتراض لا وجه له، وإنما هو مُقْحَم يراد به تقوية القول بعدم رجوعه.

وإنما اختار المعترضُ الشيخَ الخَضِرَ لشهرته الواسعة، ولفضله، وعلمه، وكونه من أكابر علماء عصره، ولأنه صار شيخاً للجامع الأزهر، ولأنه من أقرب الناس لابن عزوز نسباً، وتعليماً، واستفادة.

ومع ذلك كله فإن هذا الاعتراض منقلب على صاحبه جملةً وتفصيلاً.

وبيان ذلك أن يقال: إن الشـيخ محمد الخضـر حسـين المولود عام ١٢٩٣هـ والمتوفى عام ١٣٧٧هـ كان أبرز تلامذة خاله الشـيخ محمد المكي بن عزوز، وأن خاله كان من أكثر الناس أثراً على الشـيخ الخضـر في التربية، وأمنِّهم عليه في العلم؛ إذ كان مهتماً به اهتماماً خاصاً، ويرعاه رعاية كاملة؛ لما يتوسم به من مخايل النجابة، والصلاح، والذكاء، والألمعية[١٣٩].

وقد قرأ الشـيخ الخضـر على خاله كثيراً، وفي دفتر شـهاداته في جامع الزيتونة تصـحيحات خَالِه له في العديد من الكتب كالأربعين النووية، وبانت سـعاد، والخزرجية في العروض، ومقامات الحريري، والجزرية في التجويد، والدردير على مختصـر خليل[١٤٠].

وحال الشيخ الخضـر، وأطوار حياته قريبة من حال خاله ابن عزوز، وأطوار حياته؛ حيث كان في تونس في مرحلة التكوين من عام ١٢٩٣هـ إلى عام ١٣٣١هـ.

---

(١٣٨) انظر الرد على الوهابي الضال ص٢.

(١٣٩) انظر محمد الخضر حسين حياته، وآثاره ص١٧-١٨، و٢١، ومنهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية لمحمد الحمد ٥٦/١.

(١٤٠) انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين: للإمام محمد الخضر حسين، ص٨٧-١٦٠، والرحلات للشيخ محمد الخضر حسين ص ٩٤-١٠٩ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ثم كانت مرحلته الثانية، وهي حياته في البلاد السورية، وهي مابين١٣٣١هـ إلى ١٣٣٩هـ.

ثم كانت مرحلة المجد العلمي والثقافي، وهي التي قضاها في مصر، وتقلد فيها مناصب عليا، وهي ما بين ١٣٣٩هـ إلى حين وفاته عام ١٣٧٧هـ[١٤١].

ولما كان في تونس كان قريباً مما كان عليه شيخه وخاله ابن عزوز من جهة انتسابه إلى الطريقة الخلوتية الرحمانية وذلك في مقتبل عمره؛ ويشهد لهذا أنه من ضمن من قرَّظوا كتاب خاله ابن عزوز (السيف الرباني) حيث كان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، وقد قرَّظ كتاب خاله بقصيدة باذخة من سبعة وأربعين بيتاً، ويقول طالعها:

صِلِي واسألي آل المجادة عن ذكري ... أذو شرفٍ مثلي لديهم بذا القِطْرِ

أصيل كريم النفس ذو همةٍ سَمَت ... وذو ولعٍ بالمكرمات وبالفخرِ

عبوس على أهل الضلال غضنفرٌ ... وإنيْ مع القوم الهداة لذو برِّ

إلى أن يقول في مدح خاله:

ألا إن ينبوع العلوم وسعدها ... محمدٌ المكيْ الرِّضا غرةُ العصر

كريم الورى كنز المعارف مَنْ غدت ... مفاخره تنمو عن العد والحصر[١٤٢]

إلى أن يقول مثنياً على تآليف خاله ابن عزوز، وعلى كتاب (السيف الرباني):

تأليفه منها الأباطح أشرقت ... كما يشرق الليل البهيم عن البدر

فأنعم بما أبداه رداً على ذوي اعـ ... ـتراضٍ على الآل المحلين بالسر[١٤٣]

---

(١٤١) انظر محمد الخضر حسين حياته، وآثاره ص٢٥٥-٢٥٦، ومنهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية ٦٤/١-٨٣.

(١٤٢) رسائل ابن عزوز ص٢٥٥-٢٥٦.

(١٤٣) المرجع السابق ص٢٥٦-٢٥٧.

ثم يقول ذاماً مؤلف كتاب (رسالة الحق الظاهر في حال الشيخ عبدالقادر):

ألا ليت شعري هل دريت عذابك الـ ... أليم ومأواك الجحيم ألا فَادْرِ

فلِمْ لا وقد ضَلَّت يداك وسطَّرت ... سواداً به مست حمى مفرد القدر

أمام الهدى الجيليّ من شاع صيته ... وسارت به الركبان في البر والبحر

ولكنْ ضيا سيف[١٤٤] الكمال محا لِمَا ... له رقمت أيدي الجهالة والوزر[١٤٥]

فكانت هذه حال الخضر في مطالع حياته؛ إذ كان يعيش ذلك الجو الذي تحيط به الطرقية مع ما كان عليه من الفضل والعلم.

ولكنه لم يستمر على هذا النهج، وإنما عاد إلى ما كان عليه السلف الصالح، وكان هذا من أسباب ذلك تأثره بخاله الشيخ ابن عزوز في آخر أمره؛ ولهذا لم يرتضِ أن تكون القصيدة السالفة ضمن ديون شعره الذي نشره إبان إقامته في مصر؛ فلم يُدْرِجها في ذلك الديوان الموسوم بـ:(خواطر الحياة).

يقول العلامة الشيخ عبدالحميد باديس –رحمه الله– في معرض ثناء له على الشيخ محمد الخضر حسين: "لا يخفى أن الأستاذ –أبقاه الله– ابن اخت العلامة الجليل الشيخ محمد المكي بن عزوز –رحمه الله– وكلاهما من أبناء الطرقية، ولكن سما بهما العلم إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح، ولكليهما –أحسن الله جزاءهما– كتابات في التحذير مما عليه الطرقية اليوم تارةً بالتصريح، وتارة بالتلويح"[١٤٦].

فهذه –إذاً– هي حال الشيخ محمد الخضر حسين –رحمه الله– فكيف يُعْتَرَضُ على رجوع الشيخ المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف بكون الشيخ الخضر ابن اخته أشعرياً؟

---

(١٤٤) يقصد كتاب (السيف الرباني).

(١٤٥) رسائل ابن عزوز ص٢٥٧.

(١٤٦) ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٧٧، وانظر منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية، ٢/٦٦٧–٧٤٢، ففيه بيان مفصل لموقفه من التصوف، وطرقه، ورجالاته، ونصائحه للطرقيين، ومشايخهم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

نعم لقد نشأ الشيخ الخضر في بيئة أشعرية، ولكن العلم –كما يقول ابن باديس– سما به إلى بقاع التفكير والهداية، فكان من أقرب الناس إلى عقيدة السلف.

ومما يؤكد ذلك –أيضاً– شدة احتفائه بالإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم؛ حيث كان الشيخ الخضر معظماً لهما، كثير الاهتمام بهما، شـديد التأثر بمنهجهما، كثير النقل عنهما، والاستشـهاد بكلامهما، بل إنه لم ينقل عن عالم من علماء السلف نَقْلَه عن هذين الإمامين.

ولم يكن يتعقبهما فيما ينقل عنهما على كثرته، بل كان يورد كلامهما موارد الثقة، والفصل، والتأييد سواء في مسائل العقيدة، أو غيرها[١٤٧].

والحاصل أن هذه الحجة –وهي كون الشيخ محمد الخضر حسين قريباً لابن عزوز، وجَعْلُ ذلك من الأوجه التي يعترض بها على رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف– حجة واهية، واعتراض باطل منقلب على صاحبه.

وإلى هنا تنتهي المناقشة لأهم الاعتراضات التي اعْتُرِض بها على رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف.

ومن خلال ما مضى يتبين أن تلك الاعتراضات لا تصمد أمام القول برجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف.

---

١٤٧ – انظر على سبيل المثال في نُقوله عن ابن تيمية في موسوعة الأعمال الكاملة ٤٥٤/٣ و٤٥٥ و٨٢١ و٢٨٦٤/٦ و٣٥٣٥/٨ و٤٠٢٤/٩ و٤٠٧٧ و٤٠٧٩ و٤١٣٠ و٤١٥٠ و٤١٩٧ و٤٢٣٩ و٤٢٥٦ و٤٢٦٩ و٤٢٧٨ و٤٢٧٩ و٤٢٨٨ و٤٤٨٩ و٥٧٠٦/١١ و٥٧٠٨ و٦٠٥٧/١٢ و٦٠٦٠ و٦٠٦١، وعن ابن القيم في ٨/١٠ و٤٢ و١٤٨ و٤٧٤/٢ و٧٣٤ و٧٣٩ و٧٥١ و٧٥٢ و١٤٧٣/٤.

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المبحث الثالث: دلائل رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، وأسبابه، وآثاره

المطلب الأول: دلائل رجوعه إلى عقيدة السلف

مر في المطالب الماضية إشارات تدل على رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، وتَبَيَّن وهاءَ حجج المنكرين لذلك.

والكلام ههنا بيان مُفَصَّلٌ لرجوعه بالدلائل القاطعة، وذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: تصريحه بالرجوع

فذلك من أجلى الأدلة، وأقواها؛ إذ هو أعلم بنفسه من غيره، ولقد تنوعت أساليبه في تصريحه بالرجوع، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أولاً: تصريحه باتباع الدليل، وزوال الغشاوة عنه: فقد ذكر ذلك في مناسبات عدة، وبعبارات مختلفة؛ فمن ذلك تصريحه بأنه بدأ في الاستضاءة بنور الحديث، ووزن خلافات الأئمة والفقهاء بالأدلة وذلك من سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة(١٤٨)، وأنه قد فتح على قلبه وزالت عنه الغشاوة؛ فصار يصلي بالقبض والرفع(١٤٩)، وأنه منذ أن عرف الحقائق صار يسترذل الحكم بلا دليل(١٥٠).

وما تصريحه باتباع الدليل، وزوال الغشاوة إلا لأنه لم يكن كذلك من قبل.

ثانياً: تصريحه بتحريم الاستغاثة بالأولياء: وذلك عندما سئل عن حُكمها، وقد مضى ذلك –كما جاء في رسالته للبيطار– وفي جوابه عن سؤال ورده عن بعض أحبابه في الجزائر(١٥١).

---

(١٤٨) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٩.

(١٤٩) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٩–١١، والشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية ص١٤، وانظر نحواً من ذلك في رسالته إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد، وسيأتي الكلام عليها مفصلاً في هذه المسألة، وفي المطلب الثاني عند الكلام عن أسباب رجوعه إلى عقيدة السلف.

(١٥٠) انظر مجلة الكويت، العدد الأول، الجزء السابع، ص٤٥٥.

(١٥١) مضى الكلام على هذين الجوابين في المطلب الأول من المبحث الثاني.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وهو خلاف ما كان عليه أول أمره لـمَّا كان يجوِّز الاستغاثة بالأولياء.

ثالثاً: نعيه على الجامدين، والمقلدين: وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على أسباب رجوعه إلى عقيدة السلف[١٥٢].

رابعاً: ما جاء في رسالته إلى الشيخ الكويتي السلفي العلامة عبدالعزيز الرُّشَيْد البداح: وفي تلك الرسالة تصريحات تكاد تكون أهم ما في هذا الباب، وفيما يلي إيراد لأهم ما جاء فيها:

١- اغتباطه بالشيخ الرشيد، وبَثُّهُ الشكايةَ له من غربة أهل السنة المتبعين للسلف الصالح، وفي ذلك يقول: "دخل عليَّ من السرور ما الله به عليم من التعرف بِكُم، وظَفَرِيْ بصاحب مثلكم؛ وذلك أن قلبي موجع من غربة العلم، والدين وأهله وأنصاره"[١٥٣]، ثم يوضح مقصوده بذلك؛ فيقول: "وإيضاح هذا أنني لست أعني بالدينِ الدينَ الذي قنع به أكثر طلبة العصر المنتسبين إلى العلم في الشرق والغرب من كل مذهب من مذاهب أهل السنة.

سارت مشرِّقة وسرتُ مغرِّباً   شتان بين مشرِّق ومغرِّب[١٥٤]

ولكني أعني بالعلم والدين علم السنة، وما الدين إلا اتباعها وإيثارها على عصارات الآراء، وجهومة المتفقهة"[١٥٥].

٢- تصريحه بأن التوحيد -حقيقةً- هو توحيد السلف الصالح: وفي ذلك يقول مصرحاً غير مجمجم: "وما التوحيد إلا توحيد السلف الصالح، وأما غيره فأشبه بالضلالات، وزلقات الهفوات"[١٥٦].

٣- تصريحه بفضل طريقة السلف، وإيضاحه مِمَّن تؤخذ حقيقتها: وفي ذلك يقول: "ولا تؤخذ حقيقتها إلا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وصاحبه الذي هو نسخة صحيحة لا تحريف فيها: الشمس ابن القيم؛ فيعتقد ما هناك بأدلة متينة، وإيمان راسخ؛ فيصبح من الفرقة الناجية التي عَرَّفها النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهم على ما كان عليه المصطفى-صلى الله عليه

---

(١٥٢) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٨-١٠٩.

(١٥٣) رسائل ابن عزوز ص١٦.

(١٥٤) هذا بيت مشهور، ويكثر تداوله والاستشهاد به، ولم أعثر على قائله، ويروى بدل (سارت): (بَكَرَت)، وبدل (سِرْت): (رُحْت). انظر البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١٧٨/٨.

(١٥٥) رسائل ابن عزوز ص١٦.

(١٥٦) المرجع السابق ص١٦.

وسلم–وأصحابه[157])"[158]، ثم يؤكد على ما ذُكِرَ آنفاً؛ فيقول: "وهذا القسم الثالث وهو الذي على الصراط المستقيم المدعو بالهداية إليه في الفاتحة في كل ركعة – قليل في الوجود مع الأسف، قال –تعالى–: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]"[159].

ثم يكرر تحسره مرة أخرى على قلة أولئك؛ فيقول: "فأنا أنظر شرقاً وغرباً؛ فأرى كما قيل:

مـا أكثـر النـاس لا بـل مـا أقلَّهُـمُ ... الله يعلـــم أن لم أقـــل فنـــدا

إني لَأَفْـــتَحُ عيـــنيْ حـــين أفتحهـــا ... علـى كثـير ولكـنْ لا أرى أحـدا[160]

وربما أجد في مليون من الخلق واحداً؛ فأنا أشدُّ فرحاً من ولادة ولدٍ ذكرٍ لابن الستين الفاقد للبنين"[161].

ثم يبين سـبب سـروره واغتباطه بالشـيخ عبدالعزيز الرشـيد، ويوضـح من خلال ذلك فرحه بالكتاب الذي أهداه له، فيقول: "ولهذا سررت بكم بعد ما تتبعت كتابكم[162] الذي أهديتموه لي؛ لأني طالما انخدعت للمدَّعين بطريقة السلف اعتقاداً وتحريَ السنة؛ فأجد من آثارهم عند إمعان النظر أنهم ليسوا الذين أريد، ولذلك وقفت النظر في كتابكم"[163].

---

(١٥٧) يشير إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–:"وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة" قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه اليوم وأصحابي". رواه الترمذي (٢٦٤١) وقال: "هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه" ورواه أبو داود (٤٥٩٧) بلفظ: "وهي الجماعة".

(١٥٨) رسائل ابن عزوز ص١٧.

(١٥٩) رسائل ابن عزوز ص١٧.

(١٦٠) البيتان لدعبل الخزاعي، انظر ديوانه ص١٧٢–١٧٣.

(١٦١) رسائل ابن عزوز ص١٧/١٨.

(١٦٢) يقصد بالكتاب: كتاب (تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين) للشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرُّشَيْد البداح الكويتي المطبوع في مطبعة دار السلام، بغداد عام ١٣٢٩هـ.

(١٦٣) رسائل ابن عزوز ص١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

فهذه جملة من تصـريحاته برجوعه إلى عقيدة السـلف، وإعجابه بها، واعتقاده صـوابها دون غيرها، وبيانه ممن تؤخذ حقيقتها، وتنويهه بأهلها القائمين بها.

المسألة الثانية: تآليفه المتأخرة في العقيدة

فتآليفه المتأخرة عموماً، وفي باب العقيدة على وجه الخصوص تدل على رجوعه إلى عقيدة السلف؛ حيث صار يعتمد الدليل، ويدور معه، ويفهم النصوص على مقتضى ما كان عليه السلف الصالح.

ومن أهم تلك الكتب رسالته المشهورة: (عقيدة الإسلام) [١٦٤]، ومن المظاهر الدالة على ما مضى ذكره ما يلي:

أولاً: استدلاله بالنقل: حيث كان يستدل بالكتاب والسنة؛ ويرى أنهما المصدران اللذان تؤخذ منهما العقيدة، وتُقَرَّر مسائلها على ضوء ما جاء فيهما؛ لذا تراه كثيراً ما يستدل بالقرآن على مسائل العقيدة[١٦٥].

ثم إنه يستدل بالسنة النبوية، والذي يظهر أنه يحتج بها مطلقاً دون تمييز بين متواترها وآحادها[١٦٦]، وفي ذلك يقول –كما في رسـالته إلى الشـيخ عبدالعزيز الرشـيد–: "أعني بالعلم والدين علم السـنة، وما الدين إلا اتباعها، وإيثارها على عصـارات الآراء"[١٦٧].

ويرى أن للحديث النبوي حكم القرآن في الطاعة والإيمان، ويقرر جواباً على سـؤال في ذلك قائلاً: "لا فرق بينهما في ذلك، والحديث الصـحيح محفوظ عند أهله بالحرف والحركة، لا يزاد فيه، ولا يُنقص"[١٦٨]، والأمثلة على احتجاجه بالسـنة كثيرة كما في استدلاله على عذاب القبر، وسؤال الملكين للميت[١٦٩].

---

(١٦٤) وقد اعتنى بدراسة تلك الرسالة وشرحها الشيخ مجد بن أحمد مكي.

(١٦٥) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص١٩، والعقيدة الإسلامية –ضمن رسائل ابن عزوز– ص١٨.

(١٦٦) انظر الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة ص٧٢.

(١٦٧) رسائل ابن عزوز ص١٦.

(١٦٨) العقيدة الإسلامية –ضمن رسائل ابن عزوز– ص٨٦.

(١٦٩) انظر العقيدة الإسلامية –ضمن رسائل ابن عزوز– ص٩٢.

ثانياً: استدلاله بالإجماع: فهو مصدر من مصادر العقيدة عنده، والإجماع الذي يعتبره في العقيدة هو إجماع الصحابة ومن اتبع طريقهم من أهل القرون المفضلة، ويشهد لهذا أنه حصر التوحيد في توحيد السلف الصالح(١٧٠).

ويقول في كتابه عقيدة الإسلام: "كل عقيدة حدثت بعد الصحابة فهي مبتدعة، ومعتقدها بدعي، وإن كان في أهل السنة في غيرها"(١٧١).

ولما بين أن استواء الله على عرشه يجب الإيمان به دون تعرض لكيفيته، قال: "هذا الذي اتفق عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين السنة"(١٧٢).

ثالثاً: تحديده لوظيفة العقل في باب العقيدة: وفي ذلك يقول –رحمه الله–: "العقل تابع للشرع، وخادم له، والعقل مخلوق، والمخلوق لا يعرف من صفات خالقه إلا ما عرَّفه خالقه؛ فلا يتكلم أحد في أمور خالقه إلا ما أذن له فيه"(١٧٣).

ثم يزيد هذا التقرير إيضاحاً، فيقول: "فالعقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهية نصاً وإثباتاً إلا بتلقي علمها من إفادات النبوة، كذلك الأمور الأخروية، وما أخبر به الشرع مما غاب عن العيان؛ فليس للعقل فيه وظيفة إلا التَّعَقُّل، والتفهُّم للمراد من التبليغات النبوية بالقرآن، والحديث الصحيح.

وكلها مطابقة للعقل عرف من عرف، وجهل من جهل، وفوق كل ذي علم عليم"(١٧٤).

رابعاً: سيره على مقتضى ما قرره أئمة السلف: خصوصاً في كتابه (عقيدة الإسلام)؛ حيث تراه يقرر ما قرره الأئمة، ويعبر عن ذلك ببيانه الأخَّاذ دون أن يغير المعنى المراد؛ فتراه على وَفْق معتقد السلف في أصول الاعتقاد، وفي السمعيات، وسائر

---

(١٧٠) انظر رسائل ابن عزوز ص١٦.

(١٧١) عقيدة الإسلام – ضمن رسائل ابن عزوز– ص٩١.

(١٧٢) المرجع السابق ص٨٠.

(١٧٣) المرجع السابق ص٨٣.

(١٧٤) انظر عقيدة الإسلام – ضمن رسائل ابن عزوز– ص٨٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

الغيبيات، وفي باب الإيمان؛ إذ يعرف الإيمان الكامل بأنه الجامع لثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل صالح بالجوارح، وأنه يزيد وينقص[١٧٥].

وكذا يقرر أن القرآن كلام الله، وهو المكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور والمقروء بالألسنة، نزل به جبريل على محمد – صلى الله عليه وسلم– معجزاً كلَّ من يعارضه، وأن الله تكفل بحفظه[١٧٦].

وكذا تقريراته في خرق العادات من المعجزات والكرامات، وتقريراته بأن صفات الله توقيفية، وتقريراته في الموت والبرزخ، وعذاب القبر ونعيمه، والحشر، والساعة، والبعث، والشفاعة، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة، والنار ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة إلى غير ذلك مما قرره، وسار فيه على مقتضى عقيدة السلف الصالح عدا بعض الملاحظات اليسيرة كما في مسألة الاستواء، وقد مر الكلام عليها[١٧٧]، وكما يلحظ على كون بعض مباحثها غير مترابط ببعض من ناحية التقديم والتأخير، ونحو ذلك من المآخذ التي لا تغض من شأنها، ولا من روعة بيانها، وجزالة أسلوبها، وما حفلت به من الاستدلال بالأدلة النقلية والعقلية[١٧٨]؛ فكل ذلك من الدلائل الجلية التي لا تدع مجالاً للشك وإنكار رجوعه عن عقيدته الأولى إلى عقيدة السلف الصالح.

المسألة الثالثة: شهادة علماء عصره، وتصريحهم برجوعه، واستبشارهم به

فذلك من أوضح دلائل رجوعه إلى عقيدة السلف، وتركه ما كان عليه سابقاً؛ حيث شهد له بذلك الرجوع أكابرُ علماءِ عصرِهِ السائرون على عقيدة السلف، وصار بعضهم يبشر بعضاً، وذلك في مختلف الأمصار.

وعلى رأس أولئك علامة الشام جمال الدين القاسمي، وعلامة العراق محمود شكري الآلوسي، يقول القاسمي في رسالة بعثها إلى الآلوسي مبشراً ومصرحاً بعودة ابن عزوز: "والآن رأيت تقديم هذا الكتاب؛ لتبشير مولانا بما يسره، ويسرنا، وهو أن حضرة

---

(١٧٥) المرجع السابق ص٨٠-٨٢.

(١٧٦) المرجع السابق ص٨٦.

(١٧٧) انظر المرجع السابق ص٨٦-٩٦.

(١٧٨) انظر بيان ذلك في العقيدة الإسلامية لابن عزوز شرح مجد مكي ص٨-١٨، و٣٥-٤٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

العالم النحرير سليل العلماء الأفاضل السيد محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل الآستانة كان من أشد المتعصبين للجهميين والقُبوريين، ثم بصره الله –تعالى– بالحقِّ؛ فاعتنقه، وأصبح يدافع عنه"[١٧٩].

إلى أن قال: "فالحمد لله على توفيق هذا السيد وهدايته لما هدي له"[١٨٠].

وجاء في رد الآلوسي على رسالة القاسمي ما نصه: "أما بعد فقد تشرفت بكتابكم الكريم، ووقفت على ما حواه من بشائر؛ فالحمد لله على نعمه، والشكر له على جزيل إحسانه وكرمه، وقد سرني ما كان من المراسلة بين السيد محمد المكي وبين السلفيين في دمشق"[١٨١].

ثم ذكر أنه كان يسمع عن ابن عزوز لما كان في تونس، وخصوصاً عندما ألف كتاب (السيف الرباني) وأنه[١٨٢] قد راسله على سبيل المناصحة دون أن يذكر اسمه.

ثم قال: "وبعد ذلك بمدة هاجر إلى القسطنطينية، وكان يجتمع كثيراً مع ابن العم علي أفندي[١٨٣] ويسأله عن الشيخين[١٨٤]، وقد اجتمع به ابن العم في هذا السَّفر الأخير، وأخبرني أنه الآن تمذهب بمذهب السلف قولاً وفعلاً، وأصبح يجادل أعداءه، ويخاصم عنه، ولم يزل يتحفني بسلامه، ويتفضل عليَّ بالتفاته"[١٨٥].

فهذا تصريح من هذين العلمين برجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف.

---

(١٧٩) الرسائل المتبادلة ص١٠١.
(١٨٠) المرجع السابق ص١٠٢.
(١٨١) المرجع السابق ص١١٣.
(١٨٢) أي أنَّ الآلوسي راسل ابن عزوز.
(١٨٣) هو العلامة الشيخ علي بن الشيخ العلامة نعمان الآلوسي.
(١٨٤) يعني بهما ابن تيمية وابن القيم.
(١٨٥) الرسائل المتبادلة ص١١٤-١١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ومن صرح بذلك -أيضاً- علامة الجزائر، ورئيس جمعية العلماء فيها الشيخ عبدالحميد بن باديس؛ حيث صرح أن ابن عزوز كان من أبناء الطرقية، ولكن العلم سما به إلى بقاع التفكير والهداية، والإصلاح، وأن له كتاباتٍ في التحذير مما عليه الطرقية اليوم تارة بالتصريح، وتارة بالتلويح[١٨٦].

وقال في موضع آخر متحدثاً عن الشيخ المكي بن عزوز: "وكان هذا العالم الجليل قبل رحلته إلى الشرق من أساطين الطرقية؛ فلما رحل للشرق، وطالع كتب أهل السنة أصبح سلفياً مصلحاً من أكابر السلفيين المصلحين"[١٨٧].

وكتب عنه الشيخ الطيب العقبي عضو جمعية العلماء في الجزائر مقالاً في جريدة البصائر الجزائرية عنوانه: (الإصلاح الديني وأبناء الزوايا الجزائرية في المشرق) ما نصه: "قليل من يجهل الشيخ المكي بن عزوز، وكونه عالماً عظيماً، وابن زاوية جزائرية كبيرة، وقليل ممن يعرف علمه ونسبه مَنْ يجهل طرقيته وهو في وطنه، وتوبته منها في المشرق"[١٨٨].

فهذه أربع شهادات من أبرز علماء عصره برجوعه إلى عقيدة السلف.

المطلب الثاني: أسباب رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف

لرجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف أسباب عدة متداخلة، وقد مضى في المطالب الماضية إشارات كثيرة إلى ذلك، والكلام ههنا سيكون عن تلك الأسباب بشيء من التخصيص والبسط، وذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: رحلته المشرقية

والمقصود بها رحلته من تونس عام ١٣١٦هـ إلى الآستانة.

وهذه الرحلة تعد مرحلة مفصلية من حياة ابن عزوز؛ حيث كانت سبباً لاتساع مداركه، وتنوع علومه، ومعارفه.

---

(١٨٦) انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٧٦.

(١٨٧) مجلة الشهاب، الجزء١، المجلد ١٣، محرم ١٣٥٦هـ.

(١٨٨) جريدة البصائر عدد١٥٩، ١٣٥٨/٢/٩هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وهذا ما كان يصــرح به كثيراً، يقول في معرض كتابه الذي بعثه إلى الشــيخ عبدالعزيز الرشــيد –بعد أن ذكر ما كان عليه من الضلال والتعصب أول أمره–: "فلما ارتحلت إلى المشرق سنة ١٣١٦هـ، واطلعت على كتب أهل الشأن باستغراق الوقت، لا واشٍ، ولا رقيب، وأمعنت النظر بدون تعصــب– فتح الله على القلب بقبول الحقيقة، وعرفت ســوء الغشــاوة التي كانت على بصري"(١٨٩).

وذكر نحواً من ذلك في آخر رسالته إلى البيطار(١٩٠).

وقد صرح بذلك السبب –وهو رحلته المشرقية– أكثر من تكلموا على رجوعه إلى عقيدة السلف، كابن باديس، والعقبي(١٩١).

المسألة الثانية: تحرره من التقليد الأعمى

وهو أثر من آثار رحلته المشرقية؛ حيث كان في أول أمره في تونس متعصباً مقلداً؛ فلما هاجر تحركت في نفسه نزعةُ التحررِ من التقليد الأعمى، والـــــمسايرةِ للمألوف دونما بيّنةٍ أو أثارة من علم، يقول –رحمه الله– متحدثاً عن سالف أمره، وما كان عليه إبان فترته التونسية الأولى، وذلك في معرض رسالته التي وجهها للشيخ عبدالعزيز الرشيد: "وأيضاً لا نعرف في بلادنا المغربية إلا التقليد الأعمى؛ فقد كنا نعد الفتوى بحديث البخاري ومسلم ضلالاً، وكما شدد علينا شيوخنا في ذلك شددنا على تلاميذنا هناك؛ فالتاجر كما اشترى يبيع، ويزيد المكسب"(١٩٢).

ثم يضــرب مثالاً لذلك فيقول: "فمن ذلك أني عند ســفري اســتعار مني ابن أختي الخضــر بن الحســين(١٩٣) الذي لقيتموه في المدينة (نيل الأوطار للشوكاني) فما تركته حتى أقسم لي بالله أنه لا يتبعه فيما يقول"(١٩٤).

---

(١٨٩) انظر مجلة الكويت الجزء العاشر العدد الأول، والشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية ص١٤.

(١٩٠) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٩–١١٠.

(١٩١) انظر كلامهما في المسألة الثالثة من المطلب الماضي.

(١٩٢) مجلة الكويت، المجلد الأول، الجزء السابع، ص٤٥٥، والعقيدة الإسلامية شرح مجد مكي ص٤١.

(١٩٣) هو الشيخ محمد الخضر حسين.

(١٩٤) مجلة الكويت المجلد الأول، الجزء السابع ص٤٥٥، وشرح العقيدة الإسلامية ص٤١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ويضرب مثالاً آخر على ذلك، فيقول: "ومن ذلك أني وجدت في عام ١٣٠٠هـ كتاب (الروضة الندية للسيد صديق حسن خان) يباع عند كُتُبِيٍّ في مسكرة اسمه الشيخ الأخضر السنوسي العقبي، فنهرته، وزجرته، وقلت له: حرام عليك تبيع الروضة الندية؛ فصار يعتذر بمسكنة كأنه فعل خيانة!

أما تصانيف ابن تيمية وابن القيم فوالله ما نظرت فيه سطراً؛ لنفرة قلوبنا منها، ومن جهل شيئاً عاداه"[١٩٥].

ثم يقول مستدركاً: "لكن في العاجز رائحة استعداد، وشوق للدليل"[١٩٦].

ثم يذكر أن بداية ذلك ارتحاله إلى المشرق عام ١٣١٦هـ، واطلاعه على كتب أهل الشأن، وتحرره ممن يحاذره، وإمعانه النظر بدون تعصب، وما كان مِنْ فَتْحِ اللهِ على قلبه[١٩٧].

ويقول بعد ذلك: "وتدرجت في هذا الأمر حتى صارت كتب الشوكاني، وصدِّيق خان، وشروح (بلوغ المرام) وما والاهما – أراها من أعز ما يطالع.

أما كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم فمن لم يشبع، ولم يروَ بهما فهو لا يعرف العلم.

ويلحق بها كتب السفاريني، و(جلاء العينين) للسيد نعمان[١٩٨] وآثار إبراهيم الوزير، ونحوهم"[١٩٩].

ثم يعقب على ذلك بقوله: "ومنذ عرفت الحقائق استرذلت الحكم بلا دليل، والحمد لله"[٢٠٠].

---

(١٩٥) شرح العقيدة الإسلامية ص٤٢.

(١٩٦) المرجع السابق ص٤٢

(١٩٧) انظر المرجع السابق ص٤٢.

(١٩٨) يقصد به العلامة نعمان الآلوسي.

(١٩٩) مجلة الكويت، المجلد الأول، الجزء السابع ص٤٥٥.

(٢٠٠) انظر مجلة الكويت، المجلد الأول، الجزء السابع ص٤٥٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ويقول في رسالته للعلامة عبدالرزاق البيطار ناعياً على الجامدين من الشيوخ دونما بصيرة: "ومما أتعجب منه وأتأسف ما رأيته من نتائج مخالطاتي لأهل العلم، ومناظراتي، ومذاكراتي أني أجد الشباب، والطلبة الصغار أقرب قبولاً للحق، وذوقاً للصواب، وسروراً بالدليل من الشيوخ، وأكثر الشيوخ جامدون على ما ألفوْه، ومن أحبارهم ورهبانهم عرفوه"[٢٠١].

ثم يبدي تساؤلاً في ذلك، فيقول: "ولا أدري: هل ذلك لطول قعودهم في أرض التقليد صاروا كمن له أوتاد، والتحمت تلك الأوتاد في الأرض؛ فلا يستطيعون النهوض منها؟

أم لأن غالب الشيوخ أكبر مني سِنًّا؛ فهم يأنفون أن يستفيدوا ممن هم أصغر منهم؟ أم كيف الحال؟"[٢٠٢].

وإني أحمد الله –تعالى– أن أنقذني من أسر التقليد، وصرت إذا رأيت تعنتهم واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أتلو قوله –تعالى– مذكراً نفسي آلاء الله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]، والحمد لله الذي عافانا مع بقاء احترامهم، ومحبتهم في قلوبنا"[٢٠٣].

المسألة الثالثة: إنصافه، وإيثاره للحق

وذلك ناتج عن صلاحه، وصدق نيته، وشجاعته؛ حيث كان منصفاً مؤثراً للحق على الخلق؛ فكان ذلك من أعظم أسباب رجوعه إلى عقيدة السلف.

ويتضح ذلك من خلال تشوقه للدليل –كما يقول– وهو في تونس قبل رحلته، حيث صرح أن فيه رائحة استعداد وشوق للدليل[٢٠٤].

---

(٢٠١) الرسائل المتبادلة ص١٠٨.

(٢٠٢) المرجع السابق ص١٠٨-١٠٩.

(٢٠٣) الرسائل المتبادلة ص١٠٩.

(٢٠٤) انظر مجلة الكويت، المجلد الأول، الجزء السابع ص٤٥٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وكذلك لما أرسل إلى حبيب له في المدينة يسأله عن حقيقة الوهابية، وطلب منه أن يجتمع مع أناس ليقرأوا كتابه إليهم، قال: "وتقرأون كتابي هذا بتأمل، وتجيبوني بما تحصَّل لكم، ذاكرين قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]"(٢٠٥).

ولو لم يكن على هذا الطراز من العدل لما كان له أن يرجع عما قاله سالفاً، وينسف ما قرره آنفاً؛ إذ إن ذلك شاقٌ على النفوس.

المسألة الرابعة: حفاوة العلماء به، وتواصله معهم

وهذا السبب من أعظم الأسباب لرجوعه إلى عقيدة السلف، وثباته عليها.

ويتجلى ذلك في مظاهر عدة تتلخص فيما يلي:

أولاً: ما كان يجري بينه وبينهم من المكاتبات: وأول ما كان من ذلك مكاتبتهم له لما كان في تونس، وأبرز ما في ذلك مبادرة علامة العراق الآلوسي إلى مراسلة ابن عزوز لما كان في تونس.

يقول الآلوسي ردًّا على كتاب أرسله له القاسمي يبشره برجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف: "سرني ما كان من المراسلة بين السيد محمد المكي، وبين السلفيين في دمشق"(٢٠٦).

ثم بيَّن الآلوسي أنه كان يعرف ابن عزوز من قبل، وأن سبب ذلك أن ابن عزوز لما ألف كتابه (السيف الرباني) وطبع في تونس، وأرسل منه نُسَخاً لنقيب بغداد، فأعطى النقيبُ الآلوسيَّ نسخةً منه، وأنه لما طالعها، ورأى ما فيها من الضلالات، والخرافات أدرك أن ابن عزوز رجل فاضل، ولكنه لم يقف على الحقائق، وأنه اغتر بهذيان أحمد زيني دحلان(٢٠٧)، يقول الآلوسي بعد ذلك: "فأرسلت له كتاب (منهاج التأسيس) مع التتمة المسماة بـ(فتح الرحمن) (٢٠٨)، وذلك سنة اثنتي عشرة

---

(٢٠٥) الرسائل المتبادلة ص١٠٦.

(٢٠٦) الرسائل المتبادلة ص١١٣.

(٢٠٧) انظر الرسائل المتبادلة ص١١٤.

(٢٠٨) وهو كتاب (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) تأليف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وقد رد به على العراقي

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وثلاثمائة وألف، وكان إذ ذاك في تونس، ولم يهاجر بعد، ولم أُعْلِمْهُ بالـــمُرسِل، ويخطر لي أني كتبت له كتاباً –أيضاً– التمست منه أن يطالع الكتاب كله مع التمســـك بالإنصـــاف، ولم أذكر اسمي، ولا ختمته بختمي، وأرســـلت كل ذلك إليه مع البريد الإنكليزي"(٢٠٩).

والذي يظهر أن ابن عزوز قد قرأ ذلك الكتاب، وأنه أخذ بوصية الآلوسي من ناحية الإنصاف، وأن لذلك الكتاب أثراً بالغاً في تفكير ابن عزوز، وبداية بحثه عن الحق؛ ولذا صار يثني على الآلوسي في مكاتباته مع العلماء(٢١٠).

وكذلك الحال بعد هجرته إلى الآســتانة؛ حيث صــار العلماء يكاتبونه، ويهدونه المؤلفات في عقيدة الســلف، وذلك كما في رسالة الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرُّشيد التي بعثها إلى ابن عزوز، وأهدى إليه من خلالها كتابه (تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين) فكان لذلك أثر في نفس ابن عزوز، وقد أبداه في مراسلته له"(٢١١).

بل صــار ابن عزوز يبادر، ويكاتب العلماء كثيراً، ويبحث من خلال تلك المكاتبات عن الحق؛ فتراه يورد عليهم الأسـئلة التي يريد جواباً عليها –كما في مراسلته لحبيب له في المدينة – وقد مضى الكلام عليها، وما تتضـمنه من أسئلة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله– (٢١٢).

وكذلك ما كان بينهم وبين الشـــيخ عبدالرزاق البيطار من المكاتبات، وإلى ذلك يشـــير ابن عزوز في أحد ردوده على البيطار؛ حيث يقول: "وما أشرتم إليه في مكتوبكم من السير على منهاج الكتاب والسنة، وعقيدة السلف..."(٢١٣).

داود بن سليمان بن جرجيس النقشبندي، ومات ولم يكمله، فأتمه شكري الآلوسي بكتاب عنوانه (فتح الرحمن تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان) وفرغ منه سنة ١٣٠٦هـ وطبع في الهند عام ١٣٠٩هـ.

(٢٠٩) الرسائل المتبادلة ص١١٤.

(٢١٠) انظر رسائل ابن عزوز ص١٨.

(٢١١) انظر رسائل ابن عزوز ١٨، وانظر الرسالة كاملة في مجلة الكويت، المجلد الأول الجزء السابع، ١٣٤٦هـ.

(٢١٢) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٣–١١٠.

(٢١٣) الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ثانياً: زيارة العلماء له: وذلك كزيارة علامة الشام الشيخ عبدالرزاق البيطار مع بعض أهل العلم من دمشق للشيخ ابن عزوز في منزله في الآستانة، ومطارحته المسائل العلمية، فلذلك أبلغ الأثر في نفس ابن عزوز؛ يقول العلامة القاسمي في كتاب بعثه إلى العلامة الآلوسي: "ثم إن الأستاذ الكبير صَفِيَّنا البيطار لما زار الآستانة هذا العام[٢١٤] مع الوفد الدمشقي زار السيد[٢١٥]، وجرَّ البحث إلى مسائل سلفية؛ ثم إن الأستاذ كاتَبَهُ من شهر، فأجابه الآن بجواب نقلت محل الشاهد منه، وأشرت إلى طالب عندنا؛ فنقل صورةَ ما نقلته، وترونه في هذا الكتاب"[٢١٦]، وإلى تلك الزيارة يشير ابن عزوز في رسالته للبيطار، حيث يقول – بعد كلام طويل، وذكرٍ لِأَسَفِهِ على غربته، وبعده عمن يوافقه في المشرب، والتماس الحقائق، ولزوم الإنصاف، وغبطته للبيطار، وأصحابه من علماء الشام–: "كرفقائكم الذين شرفوا منزلنا معكم، وأكرمونا بتلك الأخلاق الكريمة، وكالأستاذ الجمال القاسمي، وغيرهم ممن لم نَحْظَ برؤيتهم؛ فبلغوهم سلامي، وخلوص غرامي"[٢١٧].

ثالثاً: تنويههم بشأنه، وإنزالهم له المنزلة اللائقة به: وذلك كمثل قول القاسمي عنه: "حضرة العالم النحرير سليل العلماء الأفاضل، السيد محمد المكي بن عزوز نزيل الآستانة... وهذا الفاضل؛ لشهرة بيته، ونباهة أمره يعد بألوف"[٢١٨].

رابعاً: تواصي العلماء بمكاتبته، وتعريف بعضهم بعضاً به: ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مكاتبة من القاسمي للآلوسي؛ حيث أشار عليه بمكاتبة ابن عزوز لما كان في الآستانة؛ وفي ذلك يقول: "وإذا كان لمولانا –أيده الله– أصدقاء في الآستانة يكاتبهم فلا بأس بمكاتبة السيد المنوه به، وإني في هذا البريد سأكتب له بما أرسلت لفضيلتكم من كلامه، وأُعَرِّفه بسامي مقامكم؛ عساه يزداد بصيرة ونوراً؛ فالحمد لله على توفيق هذا السيد، وهدايته لما هُدي له"[٢١٩].

---

(٢١٤) عام ١٣٢٧هـ.

(٢١٥) يعني ابن عزوز.

(٢١٦) الرسائل المتبادلة ص١٠٢.

(٢١٧) الرسائل المتبادلة ص١٠٧.

(٢١٨) الرسائل المتبادلة ص١٠١.

(٢١٩) الرسائل المتبادلة ص١٠٢.

وجاء من ضمن رد الآلوسي على هذا الكتاب أن ابن عمه علي أفندي الآلوسي يجتمع كثيراً مع ابن عزوز، وأنه يبلغه سلامه، ثم قال: "فلا حاجة إلى أن تكتبوا له على المخابرة مع مخلصكم؛ فإنه لم يزل يجتمع مع ابن العم، ويعْرِفُنَا ونَعْرِفُه"(٢٢٠).

وكما كان القاسمي حريصاً على الحث على مكاتبة ابن عزوز، ومزيد التعرف عليه – فإن الآلوسي كان كذلك، ومن صنيعه في ذلك أن تلميذه الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرُّشيد البداح الكويتي لما ألف كتابه (تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين) التي طبعت في بغداد عام ١٣٢٩هـ – طلب منه أن يهديه إلى جملة من أهل الفضل والعلم، ومن بينهم الشيخ محمد المكي بن عزوز؛ فأرسل له ابن عزوز تقريظاً نشره في مجلة الكويت(٢٢١).

وإلى هذا المعنى يشير ابن عزوز في رسالته إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد، حيث يقول: "أنا معذور إذا لم يسبق بيننا تعارف ولا مذاكرة؛ فوجدتكم –والحمد لله– من الضالة التي أَنْشُدُها، وأيده كتابكم الخصوصي الذي أرسلتموه لي"(٢٢٢).

ثم يقول –وهو محل الشاهد ههنا–: "فجزى الله علامة العراق السيد شكري؛ حيث دلكم على إجراء وسيلة التعارف بيننا"(٢٢٣).

وكذلك كان شأن وجيه الحجاز الكريم المضياف الشيخ محمد نصيف –رحمه الله– حيث كان يسعى في تعريف العلماء بابن عزوز، وإليه أشار ابن عزوز في الكتاب الآنف الذكر بقوله: "وكذلك صديقنا الكامل السّني السيد محمد نصيف في إطلاعكم على رسالتنا التوحيدية، وهكذا كله يظهر مصداق الحديث الشريف: (الأرواح جنود مجندة) (٢٢٤)"(٢٢٥).

الحاصل أن حفاوة علماء عصره به، وما كان بينه وبينهم من التواصل من أعظم أسباب رجوعه إلى عقيدة السلف، وثباته عليها.

---

(٢٢٠) الرسائل المتبادلة ص١١٥.

(٢٢١) انظر مجلة الكويت، العدد الأول، الجزء السابع عام ١٣٤٦هـ، ص٤٥٥.

(٢٢٢) الرسائل المتبادلة ص١٨.

(٢٢٣) رسائل ابن عزوز ص١٨، ومجلة الكويت العدد الأول الجزء السابع، ص٤٥٥.

(٢٢٤) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).

(٢٢٥) رسائل ابن عزوز ص١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المسألة الخامسة: رؤيا منامية

وهي رؤيا رآها ابن عزوز–رحمه الله–بعد هجرته إلى الآستانة، وبداية أخْذِهِ بعقيدة السلف، وطريقتهم علماً، وعملاً، وقد استبشر بها خيراً، وصار يذكرها في بعض المناسبات والمكاتبات.

ومن ذلك ما ذكره في كتابه الذي كتبه إلى البيطار؛ حيث قال في آخرها بعد أن أبدى شكايته من جمود بعض المشايخ، وتعصبهم، وتقليدهم الأعمى، قال مستبشراً: "وأخبركم أني لما بدأت في الاستضاءة بنور الحديث، وَوَزْنِ خلافات الأئمة، والفقهاء بالأدلة، وصرت أصلي بالقبض، والرفع الخ، وذلك سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف – أُلْقِيَ إليَّ في المنام قوله –تعالى–: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقمت بها من المنام على لساني"[٢٢٦].

وقال في آخر مكاتبته للشيخ عبدالعزيز الرشيد: "ومن اللطائف أن في الشهر الأول، والثاني من انفتاح البصيرة ألقي إليَّ في مبشّرة منامية قوله –تعالى–: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ ﴾ "[٢٢٧].

فهذه جملة من أهم الأسباب لرجوعه إلى عقيدة السلف، وثباته عليها.

---

(٢٢٦) الرسائل المتبادلة ص١٠٩–١١٠.

(٢٢٧) الشيخ المكي بن عزوز واهتداؤه للسلفية ص١٥.

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

المطلب الثالث: آثار رجوعه إلى عقيدة السلف

ترتب على رجوع الشيخ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف آثار حميدة كثيرة سواء على نفسه، أو على بلده، أو الأمة عموماً، والكلام في تلك الآثار يطول، ويمكن حصره في المسائل الثلاث التالية:

المسألة الأولى: الإسهام في نشر عقيدة السلف

ويتمثل ذلك في صور شتى، ومن أهمها تأليفه لرسالته (عقيدة الإسلام) التي كتبها، وطبعت عام ١٣٢٧هـ، والتي وضعها على هيئة سؤال وجواب باللغتين العربية والتركية لطلاب دار الفنون، ومدرسة الواعظين في استنبول[٢٢٨].

وقد جاءت في إحدى وعشرين صفحة، وبلغ عدد أسئلتها واحداً وأربعين سؤالاً[٢٢٩].

تلك الرسالة المختصرة القيمة النافعة التي كتبت بأسلوب سلس؛ فانتشرت في أنحاء العالم الإسلامي، ولقيت قبولاً منقطع النظير، وصار العلماء يتباشرون بها، ويثنون عليها، ويقرظونها.

وممن قرظها العلامة الحنفي الشيخ إسماعيل الصفايحي القاضي الحنفي بتونس.

ومما جاء في تقريظه قوله –رحمه الله–: "وبعد، فقد اتصل صحبة مكتوبكم بتأليف حافل، وحباب سائل صغير الحجم، غزير العلم، ألا وهي المسمى بـ(عقيدة الإسلام).

فألفيتها المرشدة للأنام، والحافظة لعقيدة السلف العظام"[٢٣٠].

(٢٢٨) انظر رسائل ابن عزوز ص٧٥.

(٢٢٩) انظر العقيدة الإسلامية شرح مَجْد أحمد مكي ص٧.

(٢٣٠) رسائل ابن عزوز ص٩٦، وانظر ص ٩٧–٩٩ ففيها تقريظات وثناء على الرسالة – شعراً ونثراً –.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

ولقد حمى الله-عز وجل- بتلك الرســـالة المباركة أمماً من الناس، وأنقذ بها من كادت أن تجتالهم أعاصـــير الإلحاد والمادية، أو ضـلالات الطرقية، والمســالك الشـركية والبدعية؛ حيث جمع فيها بين أدلة العقل، والنقل، وتطرق لمســائل العقيدة، وربطها بما يستجد من شبهات عصره[٢٣١].

المسألة الثانية: الإسهام في تصحيح المفهومات الغالطة، وفتح الباب لسنة الرجوع إلى الحق

ويتجلى ذلك في كثرة سـؤاله، وبحثه عن الحقيقة، وعدم اسـتنكافه من قبول الحق، وسـيره مع الدليل، والحجة والبرهان؛ فكان لذلك أبلغ الأثر في التعامل مع الحقائق، وتصـحيح الصـورة الغالطة السـائدة في بلاده، وغيرها من بلاد المسـلمين عن عقيدة السلف، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعن حقيقة علماء الإسلام الكبار السائرين على هدى السلف كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والسفاريني، والشوكاني، وغيرهم[٢٣٢].

وترتب على رجوعه إلى عقيدة السـلف فتحُ الباب لسُـنَّة الرجوع إلى الحق، وترك الإنسـان ما ألفى عليه أسـلافه ومشـايخه إذا كانوا على غير هدى.

وهو بذلك أســـهم في فتح ذلك الباب، وقوّى عزيمة الباحثين عن الحقيقة؛ فكان من أثر ذلك تصـــحيح كثير من المفهومات الغالطة، ورجوع كثير ممن كان من ضحايا التقليد الأعمى، وأسارى التعصب المقيت[٢٣٣].

وكان من أثر ذلك انتشار العلم الصحيح المبنيّ على التثبت والحجج، لا على الظنون والمغالطات؛ ويكفي شاهداً على ذلك ما كان من أمر عالم جليل من أكابر علماء عصـــره، وممن كان له الأثر البالغ في زمانه ومن جاء بعده، ألا وهو العلامة شـــيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين تلميذ ابن عزوز وابن اخته.

والشـاهد ههنا أثر رجوع المكي بن عزوز على الشيخ الخضـر؛ فبعد أن كان الخضـر يعيش في بيئة طرقية متعصـبة سما إلى أعلى درجات العلم، والجادة، والسيادة.

---

(٢٣١) انظر عقيدة الإسلام -ضمن رسائل ابن عزوز- ص٧٨-٩٥.

(٢٣٢) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠٤-١٠٩.

(٢٣٣) انظر المرجع السابق ص١٠٨-١٠٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

وبعد أن كان يُحَذِّرُه خاله ابن عزوز من كتب الشوكاني، ويأخذ عليه المواثيق بألا يعتقد ما فيها – فضلاً عما في كتب ابن تيمية وابن القيم[٢٣٤] – صار من أكثر الناس تحرراً، وبحثاً عن الحقيقة، ودفاعاً عن الإسلام وعقائده، ونقداً للطرقية وما فيه من مخالفة للحق.

بل صار من أشد الناس إعجاباً، وتنويهاً، وتأثراً، بابن تيمية وطريقته في الرد والنقض[٢٣٥].

وكان يعد كتابه (الرد على المنطقيين) أحسن كتب المنطق على الإطلاق[٢٣٦]، وكان منافحاً عنه، معتداً بأقواله، وأحكامه، واختياراته[٢٣٧].

ولاريب أن من أعظم الأسباب في ذلك تأثر الشيخ الخضر بخاله ابن عزوز–رحمهما الله–[٢٣٨].

المسألة الثالثة: الإسهام في التقارب العلمي بين المغاربة والمشارقة

فلقد كان لرجوع الشيخ محمد المكي بن عزوز إلى عقيدة السلف أثر بالغ في انفتاحه على كتب المشارقة، وقراءته لها، وفي متانة علاقته بعلماء تلك الأصقاع.

وذلك مما أسهم إسهاماً بالغاً في التقارب العلمي بين المغاربة والمشارقة، وحصول التلاحم، والتلاؤم، وردم الهُوَّة والقطيعة التي كانت سائدة في عصره بين المغاربة والمشارقة؛ إذ كان من خيرة السفراء لقومه، وأهل بلده؛ لما كان له من نباهة الشأن، وعراقة الأسرة، والشهرة العلمية، والخلق الرفيع؛ لذا كان له أبلغ الأثر في بَلِّ رحمِ العلمِ بِبَلالها بسبب العلاقة العلمية القوية التي

---

(٢٣٤) انظر مجلة الكويت الجزء العاشر العدد الأول.

(٢٣٥) انظر منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية١/٤٢٨، وانظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم،ص٢٦و٦٥و٧٩و٨١و١٣٢و١٣٦و١٤٦و١٥٢ و١٩٩ و٢٤١ و٢٥٨ و٢٧١ و٢٨١ و٢٩٠، وانظر نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ص٤٩، وبلاغة القرآن، ص١٦، ودراسات في الشريعة الإسلامية، ص١٠٥ .

(٢٣٦) انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص١٦٠.

(٢٣٧) انظر دراسات في اللغة: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، ص٢٢، وانظر منهج الشيخ محمد الخضر حسين ١/٤٣٠.

(٢٣٨) انظر منهج الشيخ محمد الخضر حسين ١/٤٣٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

انعقدت بينه وبين العلماء في بلاد المشـرق من خلال اللقاءات، أو المكاتبات، أمثال الشـيخ عبدالرزاق البيطار، والقاسمي من الشام، أو الآلوسي من العراق، أو عبدالعزيز الرشيد من الكويت، أو الوجيه الشيخ محمد نصيف من الحجاز، وغيرهم كثير.

وهذا بدوره أدى إلى اتساع دائرة العلم، وإفادة كل طرف من الآخر، وذلك كله عائد إلى قوة الإسلام، وإعزاز قبيله[٢٣٩].

(٢٣٩) انظر الرسائل المتبادلة ص١٠١-١١٧، ورسائل ابن عزوز ص١٦-١٨.

الخاتمة: نتائج البحث، وأهم التوصيات

أولاً: نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد ففي خاتمة البحث هذه أهم نتائجه:

١- من خلال النظر في سيرة ابن عزوز، وأقواله وأطوار حياته، وما قيل عنه بعدل، وإنصاف، وشمولية يُلْحَظ بوضوح أنه كان أول أمره أشعرياً صوفياً رحمانياً خلوتياً مالكياً متعصباً.

٢- أنه بعد هجرته عام ١٣١٦هـ إلى الآستانة، وبحثه، وتقصيه، وتحريه – رجع عما كان عليه سابقاً إلى عقيدة السلف؛ فهذا هو الراجح المقطوع به حقاً.

وأما إنكار ذلك فهو ناتج عن قصور، أو تقصير، أو تعصب، وتعامٍ على الحقيقة، وشبهٍ لا تنهض بإنكار رجوعه، ولا تصمد أمام الأدلة القاطعة.

٣- هناك دلائل كثيرة تؤكد رجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف، وأهمها تصريحه بذلك، وتآليفه المتأخرة في العقيدة، وشهادة علماء عصره على رجوعه، وتصريحهم بذلك.

٤- لرجوع ابن عزوز إلى عقيدة السلف أسباب عدة متداخلة، وتكاد تنحصر في رحلته المشرقية، وتحرره من التقليد الأعمى، وتحلِّيه بالإنصاف، وحفاوة العلماء به.

٥- ترتب على رجوعه إلى عقيدة السلف آثار حميدة أسهمت في نشر العقيدة الصحيحة، وتصحيح المفهومات الغالطة، وفتح الباب لسُنَّة الرجوع إلى الحق، والتقارب العلمي بين المغاربة، والمشارقة.

ثانياً: التوصيات

في خاتمة هذا البحث أوصي بالبحث في موضوع عقدي يتصل بشخصية ابن عزوز، ألا وهو (أثر ابن عزوز في نشر عقيدة السلف)، وأوصي كذلك بدراسة ابن عزوز من الناحية الفقهية، والحديثية، واللغوية، والأدبية، والرياضية، والفلكية، والحمد لله أولاً وآخراً.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

The Truth about Sheikh Muhammad al-Makki bin Azzuz

Return to the Doctrine of the Righteous Predecessor
Analytical Critical Study

Dr. Mohammed bin Ibrahim Al-Hamad
Qassim University - Faculty of Sharia and Islamic Studies –
Department of Doctrine and Contemporary Ideologies

This research revolves around an investigation in an important aspect of the personality of scholar Muhammad al-Makki bin Azzuz ١٢٧٠-١٣٣٤ AH, as this man was one of the greatest scholars of his time, and he has a distinguished presence in the fields of science.

He was on the doctrine that contradicts the righteous predecessors, such as authorizing to seek help from others than Allah, and his exaggeration on (the Awliya), and his fanaticism to other than the clear evidences, he was also a Sophi on the Rahmanian cellular method.

The area around which the research revolves is was it really true that he truly returned from his first creed to the doctrine of the righteous predecessors, as significant difference occurred around that. It has been found through this research that the most correct opinion of it is its return to the doctrine of the predecessor, because the likeness that denies its return is tenuous and weak and does not withstand the many conclusive evidence that proves its return.

The most important of these evidence is his personal statement, his belated writings, the testimony of his time scholars, and their declaration of his return.

This research included a statement of the reasons for his return, and the resulting profitable effects.

المراجع والمصادر:

١. الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية، د. عبدالرزاق البدر، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ١١١، السنة ٣٣ ، ١٤٢١هـ.

٢. أحاديث في رحاب الأزهر: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م.

٣. الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤. الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م.

٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦. البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي، بيروت، دار صادر(د.ت).

٧. بلاغة القرآن: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني ، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٨. التاج والإكليل لمختصر خليل، للمواق أبي محمد بن يوسف العبدري، مطبوع بهامش الجليل للخطاب، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٩. تاريخ الفلسفة الإسلامية هنري كوربان، ترجمة نصه مروة، وحسن قبيس، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

١٠. تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، حققه، وضبط نصَّه، وعلق عليه د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

١١. تراجم الأعلام للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠م.

١٢. تعريف الطريقة الرحمانية الخلوتية والزاوية القاسمية، إعداد محمد فؤاد، منشــور على مدونة دار الخليل القاسمي للنشــر والتوزيع.

١٣. جريدة البصائر الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، عدد١٥٩، ١٣٥٨/٢/٩هـ.

١٤. جمعية العلماء والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما د. نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع.

١٥. جمهرة أشــعار العرب لأبي زيد القرشــي، شــرحه وضــبطه الأســتاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٦. خواطر الحياة: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني ، الدر الحسينية للكتاب، ط٤، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٧. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشـاد سـالم، جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٨. دراسـات في الشـريعة الإسـلامية: للإمام محمد الخضـر حسـين، اعتنى به علي الرضـا الحسـيني ، مؤسـسـة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م.

١٩. دراسات في اللغة: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني ، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م.

٢٠. ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق عبدالصاحب الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.

٢١. الرحلات للشيخ محمد الخضر حسين جمعه وحققه علي الرضا التونسي، ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٢٢. الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط٢، ١٣٩٦هـــ – ١٩٧٦م.

٢٣. رسائل ابن عزوز، جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني التونسي، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٤. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الآلوسي جمع وتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، عمَّان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٥. الزوايا والطرق بالجزائر تاريخها، ونشاطها، لصلاح مؤيد العقبي، دار البرق، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٦. شخصية ابن عزوز المكي ودوره الإصلاحي، وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي المعاصر، إعداد الطالبة: برجي رزيقة، وإشراف الأستاذ: كربوعة سالم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة خيضر –بسكرة– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

٢٧. الشيخ المكي بن عزوز ومنهجه في العقيدة، وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية–تخصص عقيدة، إعداد الطالب حسين نوري، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية ١٤٣٢–١٤٣٣هـ – ٢٠١١–٢٠١٢م.

٢٨. الشيخ محمد المكي بن عزوز واهتداؤه إلى السلفية، لسمير سمراد، مجلة الإصلاح، العدد١٢، نوفمبر ٢٠٠٨م.

٢٩. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للعلامة محمد بشير السهسواني الهندي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، مكتبة العلم بجدة ، ط٤، ١٤١٠هـ.

٣٠. عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، لجلال الدين عبدالله بن نجم بن شاس، دراسة وتحقيق د. حميد بن محمد لَحْمَرْ، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

٣١. العقيدة الإسلامية للشيخ محمد المكي بن عزوز –ضمن رسائل ابن عزوز– جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني التونسي، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٣٢. العقيدة الإسلامية للعلامة محمد بن مصطفى عزوز، شرح مجد بن أحمد مكي، دار نوادر المكتبات، السعودية، جدة، دار البشائر – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

٣٣. فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط١، ١٤١٠هـ.

٣٤. الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق د. حمد التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٥. مجلة الشهاب، الجزء الأول، المجلد الثالث عشر، محرم عام ١٣٥٦هـ.

٣٦. مجلة الكويت الجزء العاشر العدد الأول.

٣٧. مجلة النجاح الجزائرية عدد ٢٧٢، ١٣٤٤/٧/٢٩هـ.

٣٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٣٩. مجموعة الرسائل للعلامة محمد المكي بن عزوز جمع علي الرضا الحسيني، الدار التونسية للكتاب ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٤٠. محمد الخضر حسين حياته وآثاره لمحمد مواعده، الدار الحسينية للكتاب، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤١. محمد المكي بن مصطفى بن عزوز وآثاره للأستاذ كمال مجيدي، جامعة أوراد، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد التاسع، جوان٢٠١٧م.

٤٢. المذكرات للعلامة محمد كرد علي، أضواء السلف، الرياض.

٤٣. مقال الرد على الوهابي الضال البشير بن حسن في الشبكة الإلكترونية.

٤٤. مقال هل صار ابن عزوز وهابياً في الشبكة الإلكترونية.

٤٥. ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني ، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٦)، ص ص ٣٢٨١ – ٣٣٥٤ (شوال ١٤٤٣هـ /مايو ٢٠٢٢م)

٤٦. منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٤٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٨. النفحات الربانية في مناقب رجال الخلوتية- ضمن رسائل ابن عزوز، جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني التونسي، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٣٨٤م.

٤٩. نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: للإمام محمد الخضر حسين، اعتني به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥٠. نقض كتاب في الشعر الجاهلي: للإمام محمد الخضر حسين، حققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥١. هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك -ضمن رسائل ابن عزوز، جمع وتحقيق علي الرضا الحسيني التونسي، ط١، ١٤٠٤هـ-١٣٨٤م.